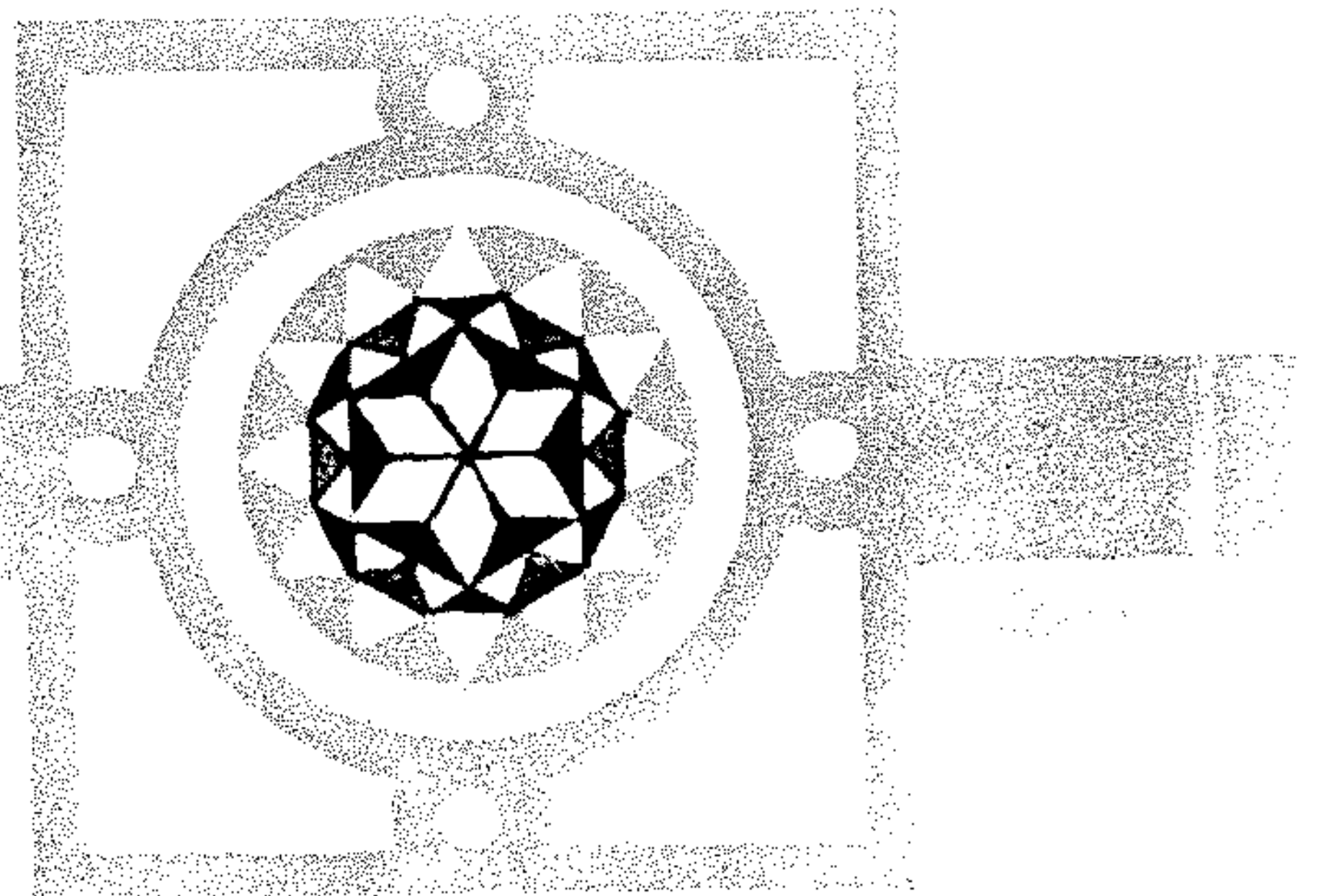


أبو الحسن علي الحسن النذوي

التربية الإسلامية الحرة



مؤسسة الرسالة

نحو التربية الإسلامية الحرة

حقوق الطبع محفوظة

١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م

مؤسسة الرسالة - بيروت - شارع سورية - بناية صمدي وصالحه

هاتف ٢٩٥٥٠١-٢٤١٦٩٢ ص ب ١١٧٤٦٠ برقياً: بيوشران

نحو التربية الإسلامية برهانه الأمامية المحمّدية

في الحكومات والبلاد الإسلامية

مقالات ومحاضرات عن سياسة التعليم والتربية في الأقطار الإسلامية
والحاجة إلى صياغتها الإسلامية الجديدة

بمقام

السيد أبو الحسن علي الحسيني الندوي

أمين ندوة العلماء العام بالكلهتو - الهند
وعضو المجمع العلمي العربي بدمشق - سوريا

الطبعة الثانية

مؤسسة الرسالة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كَلِمَةُ بَيْنَ يَدَيِ الْكِتَابِ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .

أما بعد ! فإن موضوع التربية في الحكومات ، والبلاد الإسلامية ؛ وكيف يجب أن تكون سياسة التعليم وإلى أين تتجه ؟ ، وما هي الأهداف الصحيحة ، والمثل العليا ، التي يجب أن تهدفها ، وتسعى لتحقيقها ؟ هو موضوع الساعة الذي يشغل قادة الفكر ، والمهتمين بشؤون العالم الإسلامي في جميع أنحائه ، ولعله هو الموضوع الحساس الحاسم الذي سيقدر مصير الأمة الإسلامية ، ويصوغ مستقبلها .

وقد تناولت هذا الموضوع بالبحث والتفكير منذ مدة طويلة ، وقد نشرت « البلاد السعودية » أول بحث لي في هذا الموضوع في سنة ١٩٥٠ م ، في سلسلة مقالات نشرتها تباعاً في أعدادها ، وكنث يومئذ في مكة ، ونشر هذا البحث مرات عديدة بعنوان « كيف توجه المعارف في الأقطار الإسلامية ؟ » وأمامي الطبعة الخامسة التي صدرت في الاسكندرية عام ١٣٨٠ هـ

(١٩٦١ م) قام بطبعها فضيلة الشيخ عبد المهيمن أبو السمع
إمام المسجد الحرام ، ثم بحث في هذا الموضوع في كتابي
« الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار
الإسلامية » وكان آخر ذلك محاضرة ألقى في جامعة الرياض
في ٢٢ شعبان ١٣٨٨ هـ (١٣ نوفمبر ١٩٦٨) وقد جاءت فيه
الفكرة مختصرة ناضجة ، وفي وضوح كبير ، حين قمت
بزيارة العاصمة السعودية على دعوة كريمة من صاحب المعالي
الوزير العالم الشيخ حسن عبد الله آل الشيخ وزير المعارف
للمملكة العربية السعودية ، وقد رأيت أن أضمم إلى هذه
الفصول الثلاثة التي هي في صميم موضوع التربية في البلاد
الإسلامية ما جاء متصلاً به في كتابي « روائع اقبال » ،
وأجمع كل ذلك في رسالة مفردة تعطي فكرة كاملة متناسقة
في هذا الموضوع ، ونقدمها إلى قادة الفكر ، والعاملين في
حقل التعليم إسهاماً منا في هذا الجهاد المقدس ، وفي هذا
العمل البنائي الإيجابي ، الذي هو أكبر حاجة العالم الإسلامي
اليوم ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

أبو الحسن علي الحسيني الندوي

أمين ندوة العلماء العام

لكهنؤ (الهند)

١٣٨٨/٩/١٢ هـ

١٩٦٨/١٢/٤ م

مبادئ وأسس التربية والتعليم ★ في الأقطار الإسلامية

مسألة مستقلة قائمة بذاتها :

إنّ مسألة التعليم في البلاد الإسلامية مسألة مستقلة قائمة بذاتها ، لأن الأمة الإسلامية أمة خاصة في طبيعتها ووضعها ، هي أمة ذات مبدأ وعقيدة ، ورسالة ودعوة ، فيجب أن يكون تعليمها خاضعاً لهذا المبدأ والعقيدة ، وهذه الرسالة والدعوة . و « التعليم » أداة لإنشاء الأجيال التي تؤمن بهذا المبدأ ، وتدين بهذه العقيدة ، وتحمل هذه الرسالة ، وتؤدي هذه الدعوة ، وكل تعليم لا يؤدي هذا الواجب أو يغدر بدمته ، ويخون في أمانته فليس هو التعليم الإسلامي بل هو التعليم

(*) مقتبس من رسالة المؤلف « كيف توجه المعارف في الأقطار الإسلامية ؟ » .

الاجنبي ، وليس هو البناء والتعمير بل هو الهدم والتخريب ،
وأولى للبلاد الاسلامية أن تتجرد منه وتحرم من ثمراته المادية ،
فالأمية خير لها من هذا التعليم الذي يرزأها في طبيعتها وعقيدها
وروحها .

إذاً فمهمة التعليم في البلاد الإسلامية مهمة عسيرة معقدة
ليست من السهولة بالمكان الذي يتصوره رجال التعليم في
بلادنا ، إنه ليس مجرد تعليم العلوم والفنون ، ولغات وطنية
وأجنبية ، وآداب أهلية وأوروبية ، بل هو إنشاء جيل جديد
إنشاء فكرياً خلقياً ممتازاً ، وذلك لا يتم بترجمة الكتب ، وجلب
الأساتذة من الخارج وإنشاء عدد كبير من الكليات والجامعات ،
 وإرسال بعثات من الطلبة إلى أوروبا وأميركا ، إنما يحتاج إلى
شيء كثير من النبوغ والابتكار ، و شيء كثير من التأليف
والإنتاج ، فإن هذا التعليم يتطلب منهاجاً دراسياً خاصاً لا يوجد
الآن كاملاً في أي بلد من بلاد الإسلام فضلاً عن بلاد
الأجانب .

مصدر صراع فكري مشثوم :

وكلما استعير منهاج من بلاد غير إسلامية ، أو اختيرت
كتب وضعت في بلاد غير مسلمة ، ولناشئة غير مسلمة كان
هذا منهاج ، وكانت هذه الكتب قلقة نابية لا تفي ولا
تساعد في المطلوب ، ويكون الصراع مستمراً بين الفكر
الاسلامي والروح الإسلامية ، وبين العقلية الجديدة والنفسية

الحديدة ، التي تنشأ بتأثير هذه الكتب ، ومفعول هذا النظام التعليمي ، وهذا الصراع ليس أقل شؤماً لهذه الأمة ، ولا أقل جناية على حياتها وسلامتها ، من صراع الدين والسياسة ، والعقل والديانة في أوروبا في قرونها الوسطى .

وقد تجلّى هذا الصراع وعنف واستفحل في جميع الأقطار الإسلامية ، التي أخذت العلوم الغربية برمتها ، والكتب المقررة في البلاد الأجنبية أو الكتب الخالية من روح الدين ، على علاقاتها ، وطبقت نظام أوروبا أو بلاد أخرى في التعليم في بلادها ، أو أدخلت عليه شيئاً من التعديل ، وقد دفعت لهذا التعليم وما جنت منه من فوائد مادية قيمة غالية جداً في الأخلاق والروح والعقيدة ، وقد اتفقت كلمة العقلاء وأهل التجربة على أن خسارة الأمة والبلاد في هذا النظام التعليمي ، وفي هذه المعاهد ودور التعليم الحديث ، كانت أكبر من ربحها ، فقد استنفدت دعاة التعليم العصري الحديث جهودهم وأموال المسلمين في إنشاء هذه المدارس وإقامتها ، واستخلصوا لها أفلاذ أكباد المسلمين وخيرة شبابهم ، فكان غاية ذلك بعد مدة قليلة فوضى فكرية هائلة واضطراب وتناقض في الأفكار والآراء ، وشك وارتباب في الدين واستخفاف بفرائضه وواجباته ، وثورة على الآداب والأخلاق ، وضعف وانحطاط في الأخلاق والسير ، وتقليد للأجانب في القشور والظواهر ، وتبذير للأموال ، إلى غير ذلك ممّا أصبح به

هذا الجليل كلاً على الآباء وعلى الأمة ، وجرثومة الفساد في
جسمها ، ونقطة الضعف في مركزها .

وضع منهاج للتعليم الاسلامي :

يعلم المطلعون على حقائق العلوم وفلسفة التعليم ، أن
للعلوم والكتب روحاً وضميراً ، كالكائنات الحية ، وهو
باطن هذه العلوم ، والروح السارية في الكتب . فالعلوم
التي أنشأها الإسلام ، وصاغها في قلبه ، قد سرت فيها روح
الإيمان بالله ، والتقوى والخشية لله ، والفضيلة والإيمان
بالآخرة ، والعلوم التي وضعها اليونان أو رتبوها اشتملت
على خرافاتهم ، وعلى روحهم الجاهلية ، وكذلك العلوم التي
دونتها أمم أوروبا الملحدة ، والكتب التي ألفها أدباؤها
وفلاسفتها ، قد سرى فيها الإلحاد والحمود ، والإيمان
بالماديات والمحسوسات فقط ، وقلة التقدير لما لا يأتي تحت
الحس والوزن ، والعد والتجربة ، وما لا يحصل له لذة أو
نفع محسوس في الأخلاق ، وسرت هذه الروح في علومهم
وفلسفتهم وأدبهم وشعرهم وقصصهم وتمثيلهم .

فلا يكون من الحكمة التعليمية ، ومن النصيح للمسلمين
نقل هذه العلوم ، والكتب المؤلفة فيها إلى النشء المسلم
بروحها وضميرها ، بل يجب أن تدون هذه العلوم من جديد
تدويناً إسلامياً ، وتؤلف فيها كتب مبتكرة ، وتشبع بالروح

الدينية ، وتستخرج منها نتائج لا تعارض الدين ، بل تؤيده وتبعث اليقين والإيمان ، وهكذا يجب أن تعمل مع التاريخ والجغرافية ، والعلوم الطبيعية ، فلكل منها إتصال بالدين ، وكل منها مؤثر في الدين .

والحاصل أننا في البلاد الإسلامية في حاجة ملحة إلى نظام تعليمي إسلامي في الروح والوضع ، والسبك والترتيب ، لا يخلو كتاب من الكتب التي تعلم مبادئ اللغة إلى آخر كتاب يدرس في العلوم الطبيعية ، أو الآداب الانجليزية من روح الدين والإيمان ، هذا إذا أردنا أن ينشأ جيل جديد يفكر بالعقل الإسلامي ، ويكتب بقلم مسلم ، ويدير دفة البلاد بسيرة مسلم وخلقه ، ويدير سياسة التعليم والمالية بمقدرة مسلم وبصيرة مسلم ، وتكون البلاد الإسلامية . إسلامية حقاً في عقلها وتفكيرها ، وسياستها ومالياتها وتعليمها .

إذاً فوضع هذا المنهاج التعليمي من حاجات البلاد الإسلامية الأولى التي لا يسعها التغافل عنها ، والتساهل فيها ، وهو عمل شاق وواسع يأخذ وقتاً طويلاً ، وليس عمل فرد من الأفراد أو حفنة من الناس ، إنما هو عمل تقوم به جماعات ولجان ، ومجامع علمية بمساعدة الحكومات الإسلامية وتشجيعها ، ويسند كل جزء من هذا الانتاج العلمي إلى جماعة تتوفر فيها مؤهلاته .

فمثلاً تقوم جماعة بتأليف سلسلة كتب تعلم مبادئ

اللغة ، وكتب تعلم اللغة والآداب ، ومهمتها أن تضع كتباً تجمع بين المادة اللغوية والمعلومات اللازمة ، ولا يخلو درس أو مجموع الكتب من روح الدين ، وهكذا في تعليم اللغة والأدب إلى أن يصل الطالب إلى دراسة المصادر الأدبية وكتب الأولين ، فيكون تعليم اللغة والأدب في رحلته الأولى والوسطى مساعداً ومتسقاً مع نظام التعليم في تكوين العقلية الإسلامية والذوق الإسلامي ، وتعليم اللغة والأدب ، له تأثير كبير في تكوين العقليات ، وتقويم الأخلاق ، كما يعرفه العارفون .

وهكذا يجب أن تخصص لجان للتأليف في الجغرافية والتاريخ والعلوم الطبيعية ، فتضع كتباً تشمل على أحدث المعلومات مع الروح الدينية والنتائج الدينية ، فيخرج الطالب من كتب الجغرافية مؤمناً بأن هذه الأرض التي ولد عليها ، والكون الذي يعيش فيه منظم منسق ، وأن خالقه حكيم خبير ، ويهتدي من المخلوقات إلى الخالق ، ومن المعلومات إلى التفكير ، ومعرفة الله وذكره ، والتسبيح بحمده ...

وكذلك التاريخ ، يعرف أن الله سنناً لا تتغير ، وأياماً في خلقه ، وإن حياة الأمم ، تقدمها وتأخرها ، وعشارها ونهوضها قانوناً معقولاً ، وإن كل أمة حادت عن السبيل وثارت على القوانين الإلهية التي ذكرها القرآن وعلى الأخلاق

الفاضلة والنواميس العادلة عوقبت عقوبات في الحياة الدنيا ،
ومحيت من الوجود .

وكذلك العلوم الطبيعية ترتبها ترتيباً جديداً ، وتستنتج
منها نتائج دينية مهمة جداً ، وتستخدمها لإثبات الدين ،
وتعزيز العقيدة الإسلامية وخدمة المجتمع الاسلامي كما
اتخذها الملحدون والمفسدون في الأرض أداة للحاد وإفساد ،
وهذا ميسور للعلماء الذين يجمعون بين معرفة روح الاسلام ،
والتعمق في هذه العلوم ، والتوسع في دراستها والابتكار .

المواد الدراسية الهامة :

ولا بد هنا من الارشادات إلى بعض المواد الدراسية
التي يقل الاعتناء بها في نظامنا التعليمي ، وهي في المكانة
الأولى من الأهمية . والتأثير في النفوس :

القرآن الكريم :

أولها : القرآن الكريم هو أقوى شيء في تكوين العقول
والأخلاق والنفوس ، وهو الكتاب المعجز الذي أحدث أكبر
انقلاب في تاريخ البشر ، وهو الكتاب الخالد الذي لم تخلق
جدته ولم تبل نضارته ، وهو الكتاب الدافق بالحياة والجدّة ،
الذي يستطيع أن يحدث انقلاباً جديداً في المجتمع والحياة
إن وجد طريقاً إلى القلوب ، فليكن له القسط الأوفر والنصيب
الأكبر في دراستنا ، ولتكن هذه الدراسة مجردة بقدر الامكان ،

فيدرّس متنه درساً لا يغلبه النقاش والبحث ولا يشرح تشرحاً
كتشرح الأجسام بحيث يحتجب جماله ، وتتوارى قوته ،
ولا ينبغي للمعلم أن يحول بين الطالب وبين القرآن ، ويقف
بينهما كرجل يقف بين المرأة والمطالع فيها ، بل يدعه يتذوق
القرآن تذوقاً ، وتلذذ به روحه وتمتلىء به نفسه ، ويشير إلى
مواضع العبرة والتفكير ، ويساعده مساعدة لغوية فقط .

السيرة النبوية :

والمادة الأخرى التي هي في الدرجة الثانية من الأهمية
والقوة ، هي السيرة النبوية ، على صاحبها الصلاة والسلام ،
وهي أجمل شيء في الوجود ، وهي التي تشق طريقها إلى
القلوب بغير شفيع ووسيط ، وتلتصق بالنفس ، فيحب
الرجل هذه الحياة الفريدة ، ويحب صاحب هذه الحياة
- بأبي هو وأمي ﷺ - الذي كان أروع آيات الله تعالى في
جمال الخلق والخلق ، معجزة كاملة تشتمل على المعجزات
بقدر أيام حياته وأخلاقه وكلماته ، فيحب الإسلام لأجله ،
ولما رآه في شخصيته وسيرته من العدل والعقل ، والفضل
والجمال ، فليكثر من درس السيرة بقدر الإمكان ، ولا أعني
من كتب السيرة هذه الفهارس العقيمة التي وضعت للطلبة ،
وطلب منهم حفظها واستحضارها ، ولا تشتمل إلا على
السنين والأعداد ، وأسماء الغزوات والحوادث المهمة ،
إنما أعني كتب السيرة التي تملأ القلب مهابة وجلالاً ، ومحبة

وإيماناً ، فينبغي أن لا يخلو معظم الفصول من درس كتاب مؤثر في السيرة .

تاريخ الصحابة :

والذي يلي السيرة النبوية في التأثير والقوة ، هو تاريخ الخلفاء الراشدين والصحابة رضوان الله عليهم ، تاريخ إيمانهم ومحتتهم وحسن بلائهم ، وتاريخ جهادهم وفتوحهم ، وزهدهم واستقامتهم ، وهو تاريخ يملأ القلب إيماناً وحماسة ، ويبعث على التقليد ، لأنهم كانوا من عامة البشر ، وكانوا نتيجة الايمان بالدين واتباع الرسول فقط ، وترفع مستوى الانسانية من المأذة والأغراض إلى التجرد من الأنانية ، والتفاني في حب الرسول فقط ، والتضحية والإيثار والوفاء ليس فوقها درجة ، فليكثر من تدريس كتب التاريخ ، وليكثر من دراسة الحوادث والحكايات ، فإن للحوادث والحكايات تأثيراً ليس للمنطق والبرهان ، والمقالات العلمية .

التربية المعنوية :

هذا ما أردت أن أقوله في منهاج التعليم والمواد الدراسية ، وهنا كلمة عن التربية : إن التربية لا تقل أهمية عن التعليم ، وإذا خلا التعليم عن التربية أصبح بلا نتيجة في أكثر الأحيان ، ونقصنا في ناحية التربية ليس بأقل من نقصنا وفقرنا في ناحية التعليم ومنهاج دراسته .

وموضوع التربية موضوع واسع ، طويل .الذيل ،
وكثير الشعب والنواحي ، وإنما أشير هنا إلى نقطة مهمة .

رسالة المسلمين وسيادتهم :

فيجب أن يفهم طلبتنا غايتهم ورسالتهم ، وليعرفوا
أنهم يتعلمون ليستحقوا سعادة الدنيا والآخرة وينقذوا أنفسهم
وأهليهم من النار ، وسخط الخالق ، والحياة الجاهلية ،
ويخرجوا الناس من الظلمات إلى النور ، ومن ضيق الدنيا
إلى سعة الدنيا ، ومن جور الأديان إلى عدل الاسلام ، وأنهم
ورثة الأرض إذا صلحوا ، خلقت لأجلهم الدنيا ، وكتب
لهم العلو والسيادة والناس لهم تبع ، وأنهم في الأصل مسلمون ،
عاملون دعوة إلى الله وإلى دار السلام ، وكل شيء في حياتهم
فرع ووسيلة وآلة ، وليست غايتهم الوظائف (وان كانوا
يشغلونها بأهلية ، ويقومون بها بأمانة ونشاط) ولا المهن
والحرف (وإن كانوا يباشرونها بيقظة وكفاءة) ولا الراحة
والدعة والمجد (وان كانوا يتمتعون به في حل وفي اعتدال)
وإنما غايتهم حسن العمل إلى الله يستعملون لذلك جميع
مواهبهم ويركزون فيه قواهم وجهودهم ، ويعملون لذلك
على اختلاف أذواقهم وفنونهم ، ومهنتهم وفرصهم .

ثم ليعرفوا كرامتهم وقيمة علمهم ، ولا يهينوا أنفسهم ،
ولا يبيعوها بيع السلع وبيع المناداة (بالمزاد العلني) فيبيعوا

أنفسهم لكل من يقومها ، ولكل من يزيد في الثمن ، كائناً
من كان ، وليحاربوا مركب النقص في نفوسهم ، وليذكروا
قول الشاعر العربي حاتم الطائي :

ونفسك أكرمها فانك إن تهن
عليك فلن تلقى من الناس مكرماً

وقول الطغرائي :

غالي بنفسي عرفاني بقيمتها
فصنتها عن رخيص القدر مبتذل

فلا يضعوا أنفسهم إلا أشرف موضع يقدرون عليه من
غير تكبر ولا أنانية ، ولا يستعملون مواهبهم إلا في الوجه
الذي يليق بها ، ويعتزوا بدينهم ولا ينجلوا من الظهور
به والانتساب إليه والقيام بواجباته ولهم عبرة في كثير من
كبار رجال العصر الذين فاقوا الأوروبيين في ثقافتهم وأدبهم
ودراستهم ، وجاهدوا بالدين ، وانتقدوا الحضارة الغربية في
شجاعة وصراحة ، وظهروا في مظاهر الدين .

التشبع بروح الدعوة والاختلاط بالشعب :

إن النقطة المهمة الثانية هي : التشبع بروح الدعوة
والاختلاط بالشعب ، وقد ظهر أن أمة أو جماعة ليس فيها
روح الدعوة ، والتقدم ، والهجوم ، لا تحافظ على وجودها ،
وعلى مبدئها وعقيدتها ، وإن موقف المدافع موقف الضعيف

المعرض للخطر ، وكل من لا يكون داعياً يكون هدفاً
للدعوة أخرى ، وقد ثبت بالتجربة أن خير وسيلة للإيمان
بالمبدأ والثبات عليه ، ومتانة العقيدة والإستقامة في سبيلها ،
هي الدعوة إليها ، فالداعي دائماً قوي الايمان بمبدئه متحمس
في عقيدته ، ونشيط في عمله ، مستهين بغيره ، فإذا أردنا
أن توجد في طلبتنا هذه الصفات ، وأن يخرجوا من الخطر
على دينهم ، ونأمن عليهم الاندماج في غيرهم ، والوقوف في
المعسكر المخالف فينبغي لنا أن نجعلهم دعاة ، فإذا أردنا أن
نجعلهم متدينين ، فينبغي لنا أن نجعلهم دعاة إلى الدين .

وقد جربنا ذلك في الهند فنجحنا نجاحاً باهراً ، فطلبة
كليات الحكومة ، والكليات المختلفة ، والجامعات المدنية ،
لما خرجوا في القرى والضواحي يدعون إلى الله ، ويلقنون
المسلمين مبادئ الإسلام ، ويوقظون فيهم روح الدين ،
رأينا الحماسة الدينية فيهم تزداد اشتعالاً كل يوم ، وروحهم
تقوى ، وهم في تقدم مستمر في الديانة والصلاح ، حتى
فاقوا في حماسهم الدينية ونشاطهم وإيمانهم بالدين ، بل
في الجرأة الدينية على أبناء المدارس الدينية ، التي لا يختلط
طلبتها بغير المسلمين ، ولا يقرأون العلوم العصرية ، والسر
في ذلك هو الدعوة التي تجعل من الرجل غير الرجل ومن
القلب غير القلب .

وبهذه الدعوة والرحلات والمخيمات في سبيلها ،

والاختلاط بالشعب على اختلاف طبقاته تتمكن من محاربة
داء شديد ، حل جديداً بدور التعليم ورجالها ، وهو العزلة
عن العالم ، الذي يعيشون فيه ، والانقطاع عن الأمة التي
هم من أفرادها ، فقد أصبحت المدارس في حياتنا جزراً
صغيرة منفصلة عن الخارج ، والناس الذين يتخرجون منها
يكونون جزراً صغيرة أخرى ، فكل فرد منهم جزيرة مستقلة
يعيش في عالم الخيال ، ويسبح في فلكه الخاص ، وله دائرة
من الأصدقاء والاخوان لا يتجاوزها ، ولا يعرف من آلام
الأمة وآمالها شيئاً ، حتى أصبح العالم في واد وهو في واد ،
أصبحت الفجوة والحفرة تتسعان على مر الأيام حتى أصبح
المتعلمون أمة مستقلة لها لغتها وثقافتها ، ونفسيته لا يفهمها
الشعب ولا يعرفها ، وأخاف أن يحتاجوا بعد أيام إلى ترجمان ،
على وحدة اللغة والجنسية ، والوطنية والمدنية .

وأصبح الناس ينظرون إليهم كأجانب ، وحق لهم
أن ينظروا ، وأصبحوا ينظرون إلى الناس كأमीين ، ومنحطين
في العقل ، والثقافة والحضارة .

وهكذا تتسع الهوة بين الطبقة المثقفة ودهماء الناس ،
وليس ذلك من مصلحة أحد منهم ، ولا تنهض أمة ، ولا
تعيش على مثل هذه الحال من الفرقة والانفصال ، وبكثرة
اختلاط الطلبة بالشعب في طريق الدعوة الدينية ، والتعليمية
والإصلاحية ، وبكثرة ترددهم إلى القرى ، والضواحي ،

والمدن ، عصابات وجماعات ، بشكل منظم وتحت إشراف الأساتذة ، تنشأ في الطلبة روح الدين ، والجهاد والكفاح في سبيل الحياة ، ويتعودون على الشدة والغلظة في العيش ، وتنشأ فيهم كذلك روح الأخوة الصادقة ، والمحبة المخاصة ، وروح الخدمة والإيثار ، ويعرف بعضهم بعضاً ، ويخدم بعضهم بعضاً ، ويعرفون الحياة العامة وحياة القرى والبادية ، ويعرف الطلبة الحقل الذي سيعملون فيه ، ويعرف أهل البلاد دعائهم ومرشديهم ، ومعلميهم الذين سيساعدونهم ويأخذون بأيديهم ، إلى غير ذلك من الفوائد التي لا تعرف إلا بالاختبار والتجربة .

التربية البدنية :

وكلمة موجزة عن التربية البدنية ، والرياضة التي أهملها التعليم والتربية في بلادنا ، حتى نشأ شباب رقيق ناعم ، لا صبر عنده ولا جلد ، ولا تماسك ولا ثبات ، ولا غلظة ولا قوة ، وقد انحطت الشعوب الإسلامية في العهد الأخير في فروسياتها وأجسامها انحطاطاً مفرعاً يهدد بخطر عظيم .

وقد قلدنا الغربيين ، أو حاولنا أن نقلدهم في كل شيء ، إلا في الإهتمام بالجسم ، والرياضة البدنية ، وتربية الفروسية ، والبطولة ، هؤلاء الإنجليز والأمريكان عندهم اهتمام زائد بالرياضة البدنية ، والجري والسباق ، وركوب الخيل ،

والسباحة ، والمصارعة ، والملاكمة .

أما نحن فلم نأخذ منهم إلا كرة القدم ، والألعاب ، فعلى وزارة التعليم والتربية في البلاد الإسلامية ، أن تعير الرياضة البدنية ، وتربية الأجسام والفروسية قسطاً لائقاً من عنايتها واهتمامها ، وتقيد المدارس والكليات بالإعتناء بهذا الشأن ، حتى ينشأ جيل متوفر العلم ، سليم العقل ، قوي الجسم قوي الإيمان ، وهو الذي يستطيع وحده أن يؤدي رسالة الاسلام والعلم والفضيلة ، ويشق طريقه في الأشواك والأخطار ، فالحياة ليست روضة من الرياض ولا نوعاً من العبث ، إنما هي جد وكفاح لا يثبت فيه إلا الشديد القوي .

قضية المعلمين :

ولكن كل ما قلناه في التعليم والتربية ، يتوقف على وجود معلمين يؤمنون بهذه المبادئ والعقائد ، والغايات ، ويخلصون لها كل الإخلاص ، ويدعون إليها بإيمان وحكمة ، وتكون حياتهم خير مثال لما يدعون إليه .

ووجود معلّم يعارض هذا النظام بفكره وعمله ؛ أو غير مؤمن به ، غير مخلص له ، كوجود لوحة نخرة في سفينة في عرض البحر ، ومعول هدام في بناء شامخ ؛ ولا ينجح نظام تعليمي ، ولا يؤدي أكله مهما كان كاملاً محكماً إذا كان المعلمون مذبذبين ، متناقضي الفكرة ، لا تتفق

حياتهم مع رسالة الدين والعلم .

إذاً فقضية اختيار المعلمين ليست بسيطة سهلة ، كما يظن كثير من رجال المعارف ، ليس أساسه العلم وحده ، والمقدرة التعليمية ، والمؤهلات العلمية فحسب ، بل يجب أن تكون للسيرة والخلق ، والمبدأ والغاية ، والإيمان والعقيدة ، المكانة الأولى والأهمية الكبرى في اختيار المعلم .

ويجب أن تكون هذه العقيدة متغلغلة في الأحشاء قد ملكت عليه فكره ومشاعره ، وجعلت منه داعية لا يمل ، ولا يكل ، ومؤمناً لا يرتاب ولا يتشكك ، وذلك مثل المعلم الكامل الذي يسعد به نظام التعليم ويؤدي مهمته بنجاح وسهولة . أما بعد فإني لا أعرف أمانة أكبر مسؤولية ، وأشد خطراً ، وأعمق أثراً في مستقبل الأمة وحياتها ، من التربية والتعليم ، فزلة من زلاتها ، قد تردي أمة بأسرها في هاوية ، وقد تؤدي بها إلى الاضمحلال والتفسخ ، والفوضى في الأخلاق ، والاجتماع ، والسياسة والتعليم ، واللا دينية والإلحاد ، كذلك يمكنها وحدها أن توجه العقول والنفوس توجيهاً صالحاً ، وتنشئ الأمة نشأة جديدة ، وتبني لها مستقبلاً باهراً ، وليس من الشرف والرجولة الفرار من هذه المسؤولية المشرفة ، بل الشرف والرجولة ، وعلو الهمة الإضطلاع بهذا العبء ، الذي ألقته الأمة على كاهلها ، وأن تساهم في نهضة الأمة بالقسط الأكبر ، بل تضع أساسها الذي سيقوم عليه بناء المجتمع .

صوغ نظام التربية والتعليم من جديد

نتائج تطبيق النظام التعليمي الغربي في الشرق الإسلامي :

لا يخفى على المطلع الخبير أن نظام التعليم روح وضمير كالكائن الحي له روح وضمير - كما أسلفنا في المقال السابق - إن روح نظام التعليم وضميره إنما هو ظل لعقائد وافيته ونفسيته ، وغايتهم من العلم ودراسة الكون ، ووجهة النظر إلى الحياة ، ومظهر لأخلاقهم ، وذلك ما يمنح نظام التعليم شخصية مستقلة ، وروحاً وضميراً بذاتها ، إن هذه الروح هي التي تسري في هيكله تماماً ، إنها تسري في جميع العلوم ، في الأدب والفلسفة ، والتاريخ والفنون ، والعلوم العمرانية ، حتى في علمي الاقتصاد والسياسة بحيث يصعب تجريدتها من هذه الروح ، وليس في وسع كل شخص أن يميز بين الصحيح والسقيم منها ، وإنما يتيسر ذلك لرجل أوتي

من قوة الاجتهاد ، وملكة النقد القوية ما يستطيع به أن يميز
الجزء النافع من الجزء الضار ، فيكون عاملاً بمبدأ « نخذ ما
صفا ودع ما كدر » ويفرق بين الأصل والزائد حتى يتمكن
من أخذ جوهرها وروحها .

وهذا العمل سهل في العلوم الطبيعية التطبيقية ، بينما
هو صعب ودقيق في نفس الوقت في الأدب والفلسفة ،
والعلوم العمرانية ، ولا سيما إذا كانت أمة تؤمن بعقائد
معينة ، وتتبنى فلسفة مستقلة ، وأسلوباً خاصاً للحياة ،
وتاريخاً مستقلاً لا يعد من ألفاظ الماضي وإنما هو منارة
نور للأجيال القادمة — وتعتبر شخصية الرسول وعهده
الأسوة الحسنة التي تفوق جميع القيم والمثل العليا للحياة
الإنسانية ، إذا كانت أمة هذه صفتها تتبنى نظام تعليم الأمة
تختلف في الأساس والقيمة والمعيار ، يحدث هنالك صراع
مستمر لا يفارق هذه الأمة في أي مرحلة من مراحل حياتها
يجر إلى بناء واحد وهدم آخر ، إلى تصديق واحد وتكذيب
آخر ، إلى إجلال واحد وازدراء آخر ، وفي مثل هذه الحال
يجب أن يحدث هنالك نزاع عقلي ، وتزعزع في العقيدة ،
وانحراف عن الدين ، وأخيراً قبول القيم والأفكار الحديثة
مكان القيم والأفكار السالفة ، وذلك أمر طبيعي يجب أن
يحدث كأمور طبيعية ، لا يحول دون حدوثه حسن النية ،
أو القلق ، ورغبة الآباء والأولياء ، والاحتياطات الفرعية
والخارجية ، وإنما يمكن تأجيل مواعده ، أو إبطاء سيره على

أكثر تقدير ، دون تعويقه أو القضاء عليه ، كما أن الشجرة إذا نشأت وتربت وفق نظامها الطبيعي تؤتي أكلها وتثمر في موعدها ، أما الإنسان فبإمكانه أن لا يغرس شجرة ، ولا يسهر عليها بالتعاهد والسقي ، أو يعصدها إذا اكتملت وشبت ، ولكن ليس بإمكانه أن يقوم في وجه شجرة مثمرة خضراء ، أو يفرض عليها أن تثمر ثمرة شجر آخر .

تلك هي قصة نظام التعليم الغربي ، فإنه يحمل روحاً مستقلة ، وضميراً منفرداً تتجلى فيه عقيدة مؤلفيه ، وعقلية واضعيه ، وهو نتيجة التقدم الطبيعي في آلاف من السنين ، وتعبير عن أفكار أهل الغرب ومجموع أقدارهم وقيمهم ، فإذا طبق هذا النظام التعليمي في بلاد مسلمة ، أو مجتمع إسلامي ، يحدث به قبل كل شيء صراع عقلي ، ثم يتدرج ذلك إلى تزعزع العقيدة ، والردة الفكرية ، وأخيراً إلى الردة الدينية ، وذلك طبعي لكل من يستهدف لذلك (إلا من عصم ربك) وما أحسن ما كتبه أحد علماء الغرب الناقدين ^(١) الذي له خبرة واسعة بنتائج نظام التعليم الغربي في الشرق : « لقد بسطنا في الفصول الماضية بعض الأسباب المؤيدة للرأي القائل بأن الإسلام والمدنية الغربية — وهما يقومان على فكرتين في الحياة متناقضتين تماماً — لا يمكن أن يتفقا ، فإذا كان ذلك كذلك ، فكيف نستطيع أن نتوقع

(١) هو محمد أسد (Leopold Wess) سابقاً .

أن تظل تنشئة أحداث المسلمين على أسس غربية ، تلك
التنشئة القائمة في مجموعها على التجارب الثقافية الأوروبية وعلى
مقتضياتها ، خالصة من شوائب النفوذ المعادي للإسلام .

ليس ثمة ما يبرر توقعنا لذلك ، وإننا إذا استثنينا بعض
الأحوال النادرة ، التي يتاح فيها لعقل نير للغاية أن يتغلب
على مادة التعليم ، فإن التنشئة الغربية لأحداث المسلمين ،
ستفضي حتماً إلى زعزعة إرادتهم في أن يعتقدوا أو أن ينظروا
إلى أنفسهم على أنهم هم ممثلو الحضارة الإلهية الخالصة التي
جاء بها الإسلام ، وليس ثمة من ريب في أن العقيدة الدينية
أخذة في الاضمحلال بسرعة بين « المتنورين » الذين نشأوا على
أسس غربية ! ^(١) .

ثم يقول وهو يتحدث عن أجزاء برامج التعليم الغربية
المختلفة ، فيتحدث عن تدريس الآداب الغربية ، وتأثيرها في
عقلية النشء الإسلامي :

« إن تعليم الأدب الأوروبي على الشكل الذي يسود
اليوم الكثير من المؤسسات الإسلامية يقود إلى جعل الإسلام
غريباً في عيون الناشئة المسلمة ، ومثل هذا - ولكن إلى حد
أبعد - يصدق على التعليل الأوروبي للتاريخ العام ، إذ لا يزال
الموقف القديم فيه : (رومانيون وبرابرة) يظهر بجلاء ،

(١) الإسلام على مفترق الطرق ص ٧٣ .

ثم إن لمثل هذا العرض في التاريخ هدفاً خفياً ، ذلك أنه يدل على أن الشعوب الغربية ومدنيتها أرقى من كل شيء جاء أو يمكن أن يجيء إلى هذا العالم ، وهكذا يمكن خلق نوع من التبرير الأدبي لسعي الأوروبيين إلى السيطرة وإلى القوة المادية « (١) .

ويتكلم عن تأثير تدريس مادة التاريخ على النمط الغربي ، فيقول :

« أما التأثير الوحيد الذي يمكن أن يتركه مثل هذا التثقيف التاريخي في عقول الأحداث من غير الشعوب الأوروبية ، فإنما هو شعور هذه الشعوب بالنقص فيما يتعلق بثقافتهم الخاصة ، وبماضيهم التاريخي الخاص ، وبالفرص السانحة لهم في المستقبل ، وهكذا يتربون تربية منظمة على احتقار ماضيهم ومستقبلهم ، اللهم إلا إذا كان مستقبلاً مستسلماً للمثل العليا الغربية » .

وأخيراً يقول بكل حماس وصراحة :

« وإذا كان المسلمون قد أهملوا فيما مضى البحث العلمي ، فإنهم لا يستطيعون أن ينتظروا إصلاح هذا الخطأ اليوم عن طريق قبول التعليم الغربي من غير وازع ما ، ان كل تأخرنا العلمي ، وكل فقرنا لا يوزنان بذلك التأثير المميت

(١) الاسلام على مفترق الطرق ص ٧٣ .

الذي سيحدثه تقليدنا الأعمى لنظام التعليم الغربي في قوى الإسلام الدينية الكامنة ، إذا أردنا أن نحفظ حقيقة الإسلام على أنها عنصر ثقافي ، فيجب علينا أن نحترس من الجو الفكري للمدنية الغربية ، ذلك الجو الذي أصبح على وشك أن يتغلب على مجتمعنا وعلى ميولنا ، وبتقليد عادات الغرب وزيته في الحياة يصبح المسلمون تدريجياً مضطرين إلى الأخذ بوجهة النظر الغربية ، ان تقليد المظاهر الخارجية يقود شيئاً فشيئاً إلى تقبل الميل العقلي المصاحب لذلك ^(١) .

وقد تكهن بهذه النتيجة بعض مفكري الغرب الذين كانوا مسؤولين عن تطبيق هذا النظام التعليمي في بلدان الشرق ، وقد كتب الكاتب الإنجليزي المعروف اللورد ميكالي (Lord Macaulay) في تقريره ، وقد كان رئيس اللجنة التعليمية (عام ١٨٣٥ م) التي قررت جعل اللغة الإنجليزية أداة التعليم لأهل الهند بدلاً من اللغات الشرقية الأخرى ، إنه يقول :

« يجب أن ننشئ جماعة تكون ترجماناً بيننا وبين ملايين من رعيتنا ، وستكون هذه الجماعة هندية في اللون والدم ، انجليزية في الذوق والرأي ، واللغة والتفكير » ^(٢) .

(١) الاسلام على مفترق الطرق ص ٧٣ .

(٢) تاريخ التعليم لمؤلفه ميجر باسو ص ٨٠ .

ويقرر المستشرق الكبير « جب » (Gibb) في كتابه « وجهة الإسلام » (Wither Islam) أن التجدد والتفرنج في الشرق إنما هما خاضعان لمقياس نظام التعليم الغربي ومدى سيطرته وتغلغله في المجتمع الإسلامي الشرقي ، يقول :

« والسبيل الحقيقي للحكم على مدى التغريب (أو الفرنجة) هو أن نتبين إلى أي حد يجري التعليم على الأسلوب الغربي ، وعلى المبادئ الغربية ، وعلى التفكير الغربي ، والأساس الأول في كل ذلك هو أن يجري التعليم على الأسلوب الغربي ، وعلى المبادئ الغربية ، وعلى التفكير الغربي ... هذا هو السبيل الوحيد ولا سبيل غيره ، وقد رأينا المراحل التي مرّ بها طبع التعليم بالطابع الغربي في العالم الإسلامي ، ومدى تأثيره على تفكير الزعماء المدنيين وقليل من الزعماء الدينيين » (١) .

يلاحظ جب أن النشاط التعليمي والثقافي (عن طريق المدارس العصرية والصحافة) قد ترك في المسلمين - من غير وعي منهم - أثرا جعلهم يبدوون في مظهرهم العام لا دينيين إلى حد بعيد ، ثم يعقب على ذلك بقوله : « وذلك خاصة هو اللب المثمر في كل ما تركت محاولات الغرب لحمل العالم الإسلامي على حضارته من آثار » (٢) .

(١) الجزء الثاني من الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ص ٢٠٢ .

(٢) الجزء الثاني من الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ص ٢٠٤ .

مؤامرة دقيقة لآبادة العنصر الإسلامي :

لقد كان نظام التعليم الغربي محاولة عميقة وخفية لآبادة العنصر الإسلامي والقضاء عليه ، وانتقل مفكرو الغرب من طريقتهم الممقوتة القديمة التي كانوا يؤثرونها في إآبادة الأآببال ، والفتك بها إلى هذه الطريقة الجديدة التي قرّروا صوغها في قالبهم ، فأسسوا لهذا الغرض مراكز كثيرة باسم الكليات والجامعات ، وقد عبر عن هذه الحقيقة التاريخية أحسن تعبير الشاعر الإسلامي « أكبر » الاله آبادي في أسلوبه الطريف الخاص ، انه يقول في بيته السائر :

« يا لبلاد فرعون الذي لم يصل تفكيره إلى تأسيس الكليات » ، وقد كان ذلك أسهل طريق لقتل الأولاد ، ولو فعل ذلك لم يلحظه العار وسوء الأحداث في التاريخ .

كما أوضح الفرق بين ساسة الشرق والغرب في بيت آخر يقول :

« إن أهل الشرق يقضون على العدو بشدخ رأسه ، ولكن الغربي يغير طبيعته وقلبه » ، وجاء إقبال بعده بعدة سنوات ، وقد اکتوى بنار نظام التعليم الغربي شخصياً وخاض في دراسته ، فأبدى حقيقته في أسلوب أكثر عمقاً وأبعد عن التنكيت والدعابة ، يقول :

« إيتاك وأن تكون آمناً من العلم الذي تدرسه ، فإنه

يستطيع أن يقتل روح أمة بأسرها « ^(١) إنه يعبر عن ذلك
الانقلاب الهائل والتحويل الجذري الذي يحدثه نظام التربية
الحديث بقوله :

« إن التعليم هو « الحامض » الذي يذيب شخصية الكائن
الحي ، ثم يكوّنها كما يشاء ، إن هذا « الحامض » هو أشد
قوة وتأثيراً من أي مادة كيميائية ، هو الذي يستطيع أن يحول
جبلاً شامخاً إلى كومة تراب » ^(٢) .

إنه يرى نظام التعليم الغربي مؤامرة على الدين والخلق كما
يقول :

« إن نظام التعليم الغربي ، إنما هو مؤامرة على الدين
والخلق والمروءة » ^(٣) .

إن إقبال من أولئك الرجال المعدودين الذين خاضوا
بحر نظام التعليم الغربي ، فلم يخرجوا من قعره سالمين فقط ،
بل وقد جاءوا معهم بدرر كثيرة ، وازدادوا إيماناً بخلود
الإسلام ومضممراته الواسعة ، وازدادوا ثقة بأنفسهم ، ولو
كان من الصعب أن نحكم على إقبال أنه لم يخضع للتعليم

(١) أرمغان حجاز .

(٢) ضرب كلم .

(٣) ضرب كلم ص ٨٥ .

الغربي ، والفلسفة الغربية في قليل أو كثير ، وأن فهمه للدين يطابق الكتاب والسنة ، وفهم السلف تماماً ، ولكن الذي لا مزية فيه أنه لم ينصهر في بوتقة الغرب كما انصهر آلاف من معاصريه ، وحق له أن ينشد في هذه المناسبة شعره الذي معناه :

« كسرت طلسم العصر الحاضر وأبطلت مكره ،
التقطت الحبة وأفلت من شبكة الصياد ، يشهد الله أنني
كنت في ذلك مقلداً لإبراهيم ، فقد خضت في هذه النار
واثقاً بنفسي ، وخرجت منها سليماً محتفظاً بشخصيتي » (١) .

أما شهادة الزعيم الإسلامي الهندي مولانا محمد علي عن
التعليم الحديث وأثره ، فتحمل قيمة لا تنكر ، وقد تربى في
بيئة مؤمنة دينية ، ثم بدأ دراسته في أكبر مراكز التعليم
الغربي « الجامعة الإسلامية في عليكره » في الهند ، إنه يقول في
ترجمة حياته :

« لقد كانت الحكومة البريطانية تحمل لواء الحياد الديني
الكامل ، فقد أقصت دراسة مادة الدين حتى دراسة الأخلاق
تماماً من الكليات ، وطبقت هذه السياسة التعليمية عملياً في
ذلك ، ولم يبق من المعلومات الدينية والحلقية إلا ما يتلقفه

(١) أرمغان حجاز ص ٧٠ .

الطلاب بأنفسهم من الكتب الإنجليزية أو الكتب الدراسية ،
المؤلفة بلغات الشرق .

كما ان نظرية التعليم التي وضعتها الحكومة للشباب
الهندي ، كانت « حديثة » وكانت تهدف بجميع ما فيها من
عوامل هدامة إلى أن يتربى في الطالب شعور خاطيء بعلمه
وكبريائه ، يقضي على قداسة الرواية والحجة والاسناد
بأوهامه التي يرجع تاريخها إلى ما قبل قرون ، ومما لا
شك فيه أن هذا التعليم سبب إثارة دافع التحقيق والبحث
عن الحقيقة مع مسايرته للزمان ، غير أنه كان هداماً في
حملته على الديانة والأخلاق ، أما ما أعطاه بدلاً مما قضى
عليه من « الأوهام الدينية » (كما يقول الغربيون) فلا يقوم
أيضاً إلاّ على أساس من الأوهام والعقائد الخرافية ، ولكن
هذه الثقافة التي يتزود بها الطالب كانت حديثة لا شك ^(١) .

مصدر حركة التحرر والاباحية :

إن مؤلف « الإسلام في التاريخ الحديث » (W: C: Smith)
الذي يحمل معلومات جديدة حول نزعات العالم الإسلامي
وطبقاته المختلفة ، يعترف بالتأثير العقلي العميق الذي يتركه
التعليم الغربي الحديث ومراكزه في العالم الإسلامي ، إنه يقول

(١) My Life, A. Fragment, P. 23 - 24

وهو يتحدث عن حركة التنوير والتسامح في العالم الإسلامي
(Liberalism) :

« إن من أهم أسباب حركة الحرية والإباحية التي تسود اليوم في العالم الإسلامي ، ومن أكبر عواملها نفوذ الغرب ، فقد بلغت هذه الحركة أوجها في أوروبا من أواخر القرن التاسع عشر إلى الحرب العالمية الأولى ، وهكذا شأن نهضة أوروبا وتقدمها ، وقد سافر كثير من الشباب المسلم إلى الغرب ، واطلعوا على روح أوروبا وقيمها وأعجبوا بها إلى حد ، وينطبق هذا بخاصة على الطلاب الذين درسوا في جامعات أوروبا بعدد لم يزل يزداد مع الأيام ، وهم الذين سبّبوا استيراد كثير من أفكار الغرب وقيمه إلى العالم الإسلامي ، وقد حازت قصب السبق في هذا المضمار تلك المعاهد الثقافية التي قامت بتربية جيل بأكمله على النمط الغربي الحديث ، وكان مما صدره الغرب إلى العالم الإسلامي تلك الأفكار المتعددة الجديدة التي تقع من الأهمية والدقة بمكان ، والإتجاهات العقلية الدقيقة الفجة ، والميول الحديثة التي كان في نشرها أوفر نصيب لنمط التعليم الغربي الحديث ، ويفوقها في ذلك تأثير معاهد الغرب الحقوقية والسياسية ، والاجتماعية الجديدة ، ونفوذها الزائد ، ومنها ما يسلط إجباراً ، وما يحاول تسليطه ، وبينما قام بعض المسلمين لمقاومة هذا التيار رحب به البعض الآخر ، إن بعضهم قد وقع تحت تأثير هذه التربية رسمياً ، وبعضهم قد رحب بهذا التيار بدافع من أنفسهم ، وأنتج ذلك أن كثيراً من المسلمين

اعترفوا بهذه النظريات والمعاهد كحقيقة ثابتة ، وخضعوا لها بالتدريج ، وهكذا استمر عمل التغريب بسرعة وقوة بالغتين ^(١) . »

لقد جرف تيار نظام التعليم الغربي الشباب الإسلامي في البلاد العربية والعجمية (الذين كانوا زبدة أمتهم وزهرة بلادهم) وغيّر عقليتهم إلى حدّ أن عقولهم أصبحت لا تستطيع أن تسيع الإسلام الصحيح ، وأصبحوا لا يندمجون في المجتمع الإسلامي أيضاً ويصبحون جزءاً منه ، ويشير إلى ذلك « إقبال » بقوله :

« إن سحر الافرنج أو فنه أذاب الصخور وأسأها ماءً » .

ظلال التفكير الغربي في الجليل المثقف الحديث :

إن الإلحاح على كون الدين قضية شخصية لا علاقة لها بالدولة والحكم ، والمعاملة مع الإسلام كمعاملة الكنائس المسيحية ونظرية فصل الدين عن الدولة ، والإعتقاد بأن الدين عائق في سبيل النهضة والإكتشافات والتحقيق ، وإقامة علماء الإسلام في صف ممثلي الكنيسة المسيحية الذين كانوا يملكون السلطة المطلقة في العصور المتوسطة ، وإعطاء المرأة حق الإسهام في جميع أمور الحياة في كفاحها ، والخروج مع الرجل

(١) المصدر المذكور ص ٦٤ .

متكاتفه متساوية ، وجعل الحجاب - في أي شكل كان -
تذكراً لنظام الحربم القديم في الشرق وعلامة استبداد الرجل
بالمرأة ، والقضاء عليه خطوة أولى نحو الإصلاح والتقدم ،
والإعتقاد بأن قانون الوراثة والنكاح والطلاق اجتهاد فقهاء
المسلمين في العصور المتوسطة ونتيجة طبيعية للمجتمع البدائي
المحدود الذي وجد في القرنين السابع والثامن الميلاديين ،
وإدخال التغيير والإصلاحات في ذلك المجتمع وصوغه في
قالب المجتمع الغربي بتطبيق المبادئ الغربية ومعاييرها عليه ،
فريضة الساعة وواجب الوقت ، وصرف النظر عن الربا والخمر
والميسر ، وعن العلاقات الجنسية المنطلقة ، والإيمان بالقومية
والإندفاع نحو إحياء الحضارات القديمة واللغات العتيقة ،
والإيمان بأهمية الخط اللاتيني وفوائده ، كل هذه النزعات
والإتجاهات وما أشبهها التي تحتل محل الحقائق الثابتة لدى
الجيل المثقف ، وتعد من أمارات التنور والنهضة والتقدم ،
كل ذلك نتيجة نظام التعليم الغربي وبيئته الفكرية ، وجوّه
العلمي والعقلي ، وتراثه التاريخي ليس غير .

إن القادة وولاة الحكم في البلاد المسلمة ، كلهم إنتاج
نظام التعليم الغربي ووليد حضارته ، أما الذين لم يتح لهم أن
يثقفوا في بلد أوربي وينشأوا في بيئته ، فإنهم تعلموا في مراكز
هذا التعليم في بلادهم ، وتثقفوا بها تحت إشراف ممثليه الكبار
ورقابتهم ، إن بعضهم تخرجوا من الكليات الحربية التي يعنى
فيها بالتعليم الغربي والتربية الغربية عناية فائقة .

وذلك هو السرُّ في أن العالم الإسلامي اليوم يتأرجح بين عقليتين ، وفلسفتين ، ووجهتين مختلفتين ، تتصارعان دائماً ، وهذا الصراع ينتهي في أغلب الأحوال بانتصار فئة هي أكثر قوة وأكثر تسليحاً ، إنه صراع طبيعي ، وهو إن استحق الأسف فلا يستحق الإستغراب أبداً ، بل كان موضع الدهشة والإستغراب إذا لم ينشأ هذا الصراع ، ولم توجد هذه النزعة إلى التجدد و « التغريب » .

الحاجة إلى موضوع جديد :

وحل هذه المشكلة — مهما تعقد وطال واحتاج إلى الصبر والمثابرة — ليس إلا أن يصاغ هذا النظام التعليمي صوغاً جديداً ، ويلاءم بعقائد الأمة المسلمة ومقومات حياتها وأهدافها وحاجاتها ، ويخرج من جميع مواده روح المادية والتمرد على الله والثورة على القيم الخلقية والروحية ، وتعبد الجسم والمادة ، وينفخ فيه روح التقوى والإنابة إلى الله ، وتقدير الآخرة ، والعطف على الإنسانية كلها ، فمن اللغة والآداب إلى الفلسفة وعلم النفس ، ومن العلوم العمرانية إلى علوم الإقتصاد والسياسة لا تسيطر على كل ذلك إلا روح واحدة ، تُقصي استيلاء الغرب العقلي وتكفر بإمامته وسيادته ، وتجعل علومه ونظرياته موضوع الفحص والدراسة الجريئة ، ويوضح ماذا جنى نفوذ الغرب وسيطرته على الإنسانية والمدنية ، وتدرس علومه بشجاعة وحرية ، وتعتبر كمواد خامة (Raw Material)

نصنع منه ما يوافق حاجاتنا ورغباتنا ، وعقيدتنا وثقافتنا .

إن هذا العمل ولو كانت في طريقه عقبات وعراقيل ولو تأخرت نتائجه ، ولكنه حلّ وحيد للموجة الطاغية التي قد اكتسحت العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه ، موجة التجدد والتغرب التي تتحدى الكيان الفكري للإسلام وجهازه الاجتماعي ، وظلت تهدد حياته وبقائه ، ونتيجة لذلك ، أصبحت عاطفة الشعوب المسلمة وتضحياتها وجهودها وإخلاصها ووفائها (التي هي السبب المباشر الأساسي في إنشاء الحكومات الإسلامية ، وتحرير البلاد المستعمرة) وقوداً حقيراً في نار التجدد والتغرب ، وأصبحت الجماهير المسلمة ، السليمة المخلصة ، المتحمسة الصامته قطعاناً من الغنم يحكم في رقابها هؤلاء القادة والولاة ، وتساق إلى أي هدف في صمت وهدوء .

لقد كان السرُّ في نجاح الحكم الانجليزي في الهند ، واستمرار طبقة الضباط ، والموظفين الكبار والحكام الذين ربوا تربية غربية خالصة ، ونشأوا على الطاعة والنظام أنهم وضعوا نظام هذه البلاد ، ومارسوه مائة سنة حسب رغبة ولائهم الأجانب ، وفكرتهم وثقافتهم ، فالطريق إلى تغيير إتجاه البلاد الإسلامية والعودة بها إلى الحياة الإسلامية أن يُهم بتعليم هذه الطبقة الإسلام ، وتربيتها على أسس الإسلام ، فإنها الطبقة التي تتحكم في البلاد ، وأن نصلح نظام التعليم

الذي يخرج هؤلاء الأشخاص .

هذا التغيير الجذري لنظام التعليم وتكوينه الإسلامي أمر لا غنى عنه ، ولكنه يحتاج إلى وقت طويل ، ويحتاج إلى مواهب ومؤهلات عظيمة ، ووسائل كثيرة ^(١) .

مأساة العالم الإسلامي الكبرى :

ومن المآسي التي تحير العقل وتجرح القلب أن تظل الأقطار الإسلامية وحدها في فوضى تعليمية ، وغموض والتباس ، بل في تناقض ومصارعة بين العقائد والحقائق التي تؤمن بها ، والغايات والأهداف التي خلقت لأجلها ، والرسالة والدعوة التي تحتضنها ، وبين نظام التعليم الذي تطبقه والنظريات التي تستوردها ، والأساتذة الذين لا يؤمنون بها ، وعلى الأقل لا ينشطون في تدعيمها وتنميتها ، ولا تفكر في التطبيق بين العقيدة التي تتمسك بها ، وبين التعليم الذي تنفق عليه أكبر جزء من امكانياتها ووسائلها مع أنها كانت بحملها الرسالة الأخيرة ، والأمل الأخير للإنسانية ، أجدد بهذا التطبيق وأحرص على إزالة جميع العناصر التي تبني على شخصيتها ، ومقومات حياتها ، ومستقبل أجيالها ، وأغیر على عقيدتها ودينها من الشعوب الغربية بما فيها من الشيوعية والرأسمالية ،

(١) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية « ص ١٧٧ - ١٩١ (الطبعة الأولى) .

والتي تناولها دائماً بالتغيير والتحويل ، وتعيش هذه الأقطار الإسلامية متطفلة على مائدة الأمم الأجنبية والنظم الداخلية ، تقتبس منها وقد تطبقها بحذافيرها ، ولم تفكر إلى الآن في إخضاع جهاز التعليم لرسالتها السماوية وعقائدها الثابتة ، وعلومها المعصومة عن الخطأ والضلال ، وإزالة جميع العقبات في سبيل هذا الوثام ، والتعاون بين العلم والدين ، وتصارعه القوى المضادة والموجهون المتنافرون ويسيطر عليها الفصام النكد بين العلم والدين ، والصراع المستميت بين الحقائق الغيبية والمحسوسات المادية ، وبين الإيمان والشك ، وبين الإسلام والنفاق ، وبين الخلق والثبات ، والإستغلال والإنتهازية .

نداء الوقت وحاجة العالم المعاصر :

وقد شعر بضرورة ذلك بعض علماء الغرب المنصفين ، فقال أحد كبار أساتذة الإسلاميات في أمريكا (Charles L. Gedder) في كلمته التي ألقاها في ١٣ مايو عام ١٩٦٦م في كراتشي : « ان الإسلام يملك جميع الخصائص التي يستطيع أن تنشر السلام والإنسجام في العالم ، ان الغرب يؤمل من المسلمين الذين يحملون الدين الذي أنزله الله ، وكان لهم ماضٍ مجيد مشرق أن يقدموا مبادئ الحياة وفلسفتها إلى الغرب ، وبذلك يستطيعون أن يحملوا راية السلام التي عينت لهم في عالم الغد » .

وذلك لا يكون إلا بإنشاء الجيل المؤمن المثقف ، الذي
يجمع بين العقيدة والعلم ، ويؤمن بخلود رسالته وصلاحتها
لكل عصر ومصر ، وأنها هي المنقذة للعالم من النهاية الأليمة
التي ترتقبه ، ومن المستنقع الذي يتردى فيه .

وذلك لا يمكن كما لا يخفى إلا بوجود نظام للتربية
والتعليم ، يقوم على تطبيق بين العقيدة والثقافة ، وبين قوة
العاطفة وإشراق الروح ، والتهاب جذوة الإيمان ، وبين العلم
الواسع والفكر النير ، ومعرفة أحدث ما وصلت إليه الأجيال
البشرية من تجربة وإكتشاف .

ولا بد من بدء عملية تطوير المناهج لهذا الغرض ، وسبك
منهج تعليمي جديد ، يتغلغل في أحشائه الإيمان بالله ، ويسيطر
على جميع فروعهِ وجزئياته ، في الأوساط العلمية في الشرق^(١)

إنه مشروع ضخم ، يتطلب ثورة في التفكير ، ومغامرة في
المساعي والجهود ومثابرة تنهك القوى وتستنفد المجهود ،
ولكنه عمل تجديدي من أعمال الإصلاح والتربية ، وأكبر
خدمة للإسلام والمسلمين في هذا العصر ، والذي يقوم به

(١) أضرب مثلاً بما يقوم به صديقنا الفاضل الدكتور رفيع الدين (رئيس
مجمع إقبال في كراتشي سابقاً) في لاهور ، وقد أنشأ لذلك مؤسسة سماها
المؤتمر التعليمي الإسلامي ، لباكستان ، (All Pakistan Islamic
Education Congress) وقد انتقل إلى رحمة الله بعد كتابة هذه
السطور .

يستحق شكر الأجيال القادمة ، وأردد قول بديع الزمان
الهمداني ، وأقول : « انه فتح تتضاءل أمامه الفتوح ، وتثني
عليه الملائكة والروح » والعالم الإسلامي يتطلع إلى العملاق
الذي يقوم بهذا العمل الذي يؤثر في مصير هذه الأمة بما لا
يؤثر غيره ^(١) .

(١) مقتبس من المذكرة التي قدمها المؤلف إلى مؤتمر وزراء التربية للدول
العربية ، المنعقد في الكويت سنة ١٣٧٨ هـ .

نظرة محمد إقبال إلى نظام التعليم العصري ومراكزه (١)

نقده لنظام التعليم :

نظر الدكتور محمد إقبال إلى نظام التعليم الحديث ، فرأى فيه مواضع ضعف كثيرة ، وجوانب نقص عظيمة ، فتناولها بالانتقاد في صراحة وشجاعة ، ولفت إليها أنظار الرجال القائمين عليها ، وذكر من جنایات المدرسة — ويقصد بها نظام التعليم الحديث — على هذا الجيل شيئاً كثيراً تفيض به دواوين شعره ، يقول في بيت : « لقد خرجت من المدرسة و « الزاوية » حزينا ، لم أجد فيهما الحياة ، ولا الحب ، ولا الحكمة ولا

(١) من محاضرة ألقى في كلية دار العلوم بالقاهرة في ٢٠ جمادي الثانية

البصيرة » ، ويقول في بيت آخر : « أما رجال المدرسة ففاقدو
البصر ، وميتو الذوق ، وأما شيوخ الزاوية فقاصرو المهمة ،
ضعيفو الطلب ، قليلو البضاعة » .

جنايات المدرسة :

ومن رأي محمد إقبال ، ان التعليم الحديث قد جنى على هذا
الجيل جناية عظيمة إذ اعتنت بتربية عقله ، وتثقيف لسانه ،
ولم تعن شيئاً بتغذية قلبه ، وإشعال عاطفته ، وتقويم أخلاقه ،
وتهذيب نفسه ، فنشأ جيل غير متوازن القوى ، غير متناسب
النشأة ، قد تضخم وكبر بعض نواحي إنسانيته وحياته على
حساب بعض ، وأصبحت المسافة بين ظاهره وباطنه ، وعقله
وقلبه ، وعلمه وعقيدته ، مسافة شاسعة ، بل أصبح التفاوت
بين عقله وجسمه كبيراً ، فالأول ضخم كبير ، والثاني
ضعيف ناعم ، وهو إذا وصف هذا الجيل ، الذي عاش
فيه ، وعرفه عن كثب وإتصال ، صورته تصويراً صادقاً ،
ينطبق تمام الإنطباق على أبناء المدارس والشباب الجديد ،
يقول :

« إن الشباب المثقف فارغ الأكواب ، ظمآن الشفتين ،
مصقول الوجه ، مظلم الروح ، مستنير العقل ، كليل البصر ،
ضعيف اليقين ، كثير اليأس ، لم يشاهد في هذا العالم شيئاً ،
هؤلاء الشبان أشباه الرجال ولا رجال ، ينكرون نفوسهم

ويؤمنون بغيرهم ، يبني الأجانب من تراهم الإسلامي كنائس وأدياراً ، شباب ناعم ، رخو رقيق في الشباب كالحرير ، يموت الأمل في مهده في صدورهم ، ولا يستطيعون أن يفكروا في الحرية ، ان المدرسة قد نرعت منهم العاطفة الدينية ، وأصبحوا خبر كان ، أجهل الناس لنفوسهم وأبعدهم من شخصياتهم ، شغفتهم الحضارة الغربية فيمدون أكفهم إلى الأجانب ليتصدقوا عليهم بنخب شعير ، ويبيعون أرواحهم في ذلك ، إن المعلم لا يعرف قيمتهم ، فلم يخبرهم بشرفهم ، ولم يعرفهم بشخصيتهم ، مؤمنون ولكن لا يعرفون سر الموت ، ولا يؤمنون بأنه لا غالب إلا الله ، يشتررون من الإفرنج ، اللات ومناة ، مسلمون لكن عقولهم تطوف حول الأصنام ، إن الإفرنج قد قتلوه من غير حرب وضرب ، عقول وقحة ، وقلوب قاسية ، وعيون لا تعف عن المحارم ، وقلوب لا تذوب بالقوارع ، كل ما عندهم من علم وفن ، ودين وسياسة ، وعقل وقلب ، يطوف حول الماديات ، قلوبهم لا تتلقى الحواطر المتجددة ، وأفكارهم لا تساوي شيئاً ، حياتهم جامدة ، واقفة ، متعطلة .

ويذكر محمد إقبال أن السبب في جبن هذا الجيل وضعفه الخلقي ، هو الوضع التعليمي الحاضر ، وإهماله للجانب الخلقي ونشأة الشباب المتحللة ، يقول في قصيدة : « لا أستغرب أيها الشباب المتعلم ! أنك حيي جبان ، فإن قلبك بارد لا لوعة فيه ولا حرارة ، ونظرك غير عفيف ، إن الشباب المثقف

الذي استنارت عينه بنور الإفرنج قد يكون لبقاً في الحديث متشدقاً في الكلام ، ولكن عينيه لا تعرف الدموع ، وقلبه لا يعرف الخشوع » . ويرى محمد إقبال أن المدرسة هي المسؤولة عن هذا المسخ الخلقي ، وهي التي نزلت بالشباب المسلم عن مقامه الرفيع إلى المحل الوضيع ، يقول في بيت : « أشكو إليك يا رب ! من ولاية التعليم الحديث ، إنهم يربّون فراخ الصقور تربية بغاث الطيور ، وأشبال الأسود تربية الحروف » ، ومن أسباب هذا الضعف النفسي هو العقل المثبط الذي يمنع من المغامرات والمخاطرة بالنفس ، ويحذّر من سوء العاقبة ، ويكبر الأخطار ، يقول في بيت : « إن التعليم قد باعدك من الجنون الذي كان ينازع العقل ، ويقول له : لا تعلل ولا تثبطني عن المغامرة ، إن الأسرار التي حجبته عنك المدرسة لا تزال مكشوفة في خلوات الجبال والصحارى » ، ومن أكبر أسباب هذا الضعف ، الذل والتقدير الزائد للمادة ، والنظر إلى الوظيفة والمرتب كغاية للتعليم ، يقول في بيت : « إن ذلك العلم سمّ نافع للأفراد الذين ليست لهم غاية إلاّ حفتان من شعير » (يعني الراتب الذي يتقاضاه الموظف) .

مأخذ على التعليم :

ومن أكبر مآخذه على هذا التعليم أنه يبعث على التعطل وحب الهدوء والراحة ، ويجعل المتعلم كالمحيط الهادئ ، لا حركة فيه ولا اضطراب ، يقول في بيت : « رماك الله أيها

المتعلم بطوفان ، فإن بحرك هادىء لا اضطراب في موجه « ،
وكذلك يبعث هذا التعليم في الشباب المسلم « افرنجية » وحب
الزينة ، يقول في قصيدة : « ان مقاعدك أيتها الشباب المسلم !
افرنجية وزرايبك ايرانية ، واني أكاد أبكي دماً اذا رأيتك
في الترف والبذخ ، لا خير فيك ولو أصبحت ملك الدنيا ما
دمت متجرداً من قوة عليّ واستغناء سلمان » .

ومن مآخذه على هذا التعليم انه يحدث الفوضى الفكرية
يقول في بيت : « إن المدرسة تحرر العقل بلا شك ولكنها
ترك الأفكار بغير نظام وارتباط » .

ومن مآخذه على نظام التعليم العصري والمدرسة التي تمثله
وتؤدي رسالته أنها مصابة بالتقليد والحمود ، ومجردة من
الابتكار والاجتهاد ، يقول في قصيدة : « إن العالم أسير
التقاليد والأوضاع ، وان المدرسة منحصرة في نطاق ضيق ،
يا للأسف ! إن الرجال الذين كانوا يستطيعون أن يكونوا
أئمة زمانهم أصبحت عقولهم بالية ، وفقدت كل نشاط وجدة
فاقتنعوا بتقليد عصرهم » .

إن الدكتور محمد إقبال لا يرى أن هذا الجيل حي قائم
بنفسه ، ويفكر بعقله ، انه يعتقد انه ظلٌّ لأوروبا ، وان
حياته عارية من الغرب ، يقول في بيت : « يترأى لك ان
الشباب المتعلم حي يرزق ، ولكنه في الحقيقة ميت ، استعار
حياته من الغرب » ، ويخاطب المتفرنج ويقول : « ليس

وجودك إلاّ تجلي الافرنج ، لأنك بناء قد بنوه ، هذا الجسم
العصري فارغ من معرفة النفس ، فأنت غمد محلى بغير
سيف ، وجود الله غير ثابت في نظرك ، ووجودك أنت غير
ثابت في نظري .

ومن رأيه أن نظام التعليم الغربي قد أضعف الروح المعنوية
في الشباب المسلم ، وجنى على رجولته جناية عظيمة ، فأصبح
شباباً رخواً رقيقاً مائعاً أغيد ، لا يستطيع الجهاد ولا يتحمل
المكروه ، يقول في قصيدة يخاطب فيها بعض المربين : « حيا الله
شبيبتك ، يا مربى الجيل الحديد ! ألق عليهم درس التواضع ،
وهضم النفس مع الاعتزاز بالنفس ، والإعتداد بالشخصية ،
علمهم كيف يشقّون الصخور ويدكّون الجبال ، فإن الغرب
لم يعلمهم إلاّ صنع الزجاج ، ان عبودية قرنين متواليين قد
كسرت خاطرهم وأوهنت قلوبهم ، فانظر كيف تعيد الثقة
إلى نفوسهم ، وتحارب الفوضى الفكرية » ، وكان لا يغتفر
هذه الجريمة يقول في موضع آخر : « أنا لا أقيم لذلك العلم
وتلك الحكمة وزناً ، الحكمة التي تجرد المجاهد من سلاحه
وتجعله أعزل ضعيفاً » .

سياسة التربية والتعليم الإسلامية في الأقطار ذات الشخصية والعقائد والمبادئ، ذات الرسالة والدور القيادي

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف
المرسلين وخاتم النبيين محمد وآله وصحبه أجمعين ، ومن
تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

شعوران متناقضان :

أيها السادة :

إنني أشكركم من أعماق قلبي على هذه الفرصة الكريمة

(١) محاضرة ألقيت في جامعة الرياض ، وقد حضرها معالي وزير المعارف
للمملكة العربية السعودية ، وعدد كبير من أصحاب الاختصاص في التربية
والتعليم ، وأساتذة الكليات ، ورجال المعارف ، والمثقفون الكبار في
العاصمة ، وذلك في ٢٢ شعبان ١٣٨٨ هـ . ١٣ من نوفمبر ١٩٦٨ م .

التي أتحتموها لي للتحديث في موضوع التربية والتعليم في هذه البلاد المقدسة ، وعلى هذه الثقة الغالية التي وضعتوها في شخصي الحقير ، وذلك إن دلّ على رحابة صدوركم وسعة قلوبكم وشدة عنايتكم بالموضوع وإيمانكم بقيمة التعليم النبوي القائل « الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها » فإنه يدل كذلك على وجهة نظركم إلى هذا البلد واعتباره الوطن الإسلامي الأول للمسلمين ، الذي يتحتم على كل مسلم الإهتمام بشئونه وبذل أفضل ما عنده من علم وتجربة وتفكير ، واعتصار أحب ما عنده من عقل وقلب وضمير .

إنني في هذا الموقف الشريف الذي أقفه الآن أواجه صراعاً نفسياً ، فإنه يجاذبني عاملان متناقضان قويان ، أما العامل الأول فهو عامل السرور والإعجاب ، والتقدير والإعتراف ، ذلك لأنني إذا نظرت إلى الشبكة الدقيقة الواسعة من الكليات والثانويات والمدارس الابتدائية التي مدّت على هذه الجزيرة المترامية الأطراف ، والتي لم يفلت منها مدينة كبيرة ولا قرية صغيرة ، وإذا نظرت إلى هذه الموازنة الضخمة الهائلة التي خصصت لنشر التعليم والثقافة في هذه المملكة ، والتي يحق لكل حكومة راقية عصرية أن تفتخر بها ، وإذا نظرت إلى عدد الأساتذة والمعلمين الذين جلبوا ولا يزالون يجلبون من الخارج ، ويتمتعون من وزارة المعارف ومن المشرف عليها - الوزير العالم - بكل تقدير واحترام ، وما يتمتع به الطالب السعودي في كل مرحلة من مراحل التعليم من تسهيلات ومرافق وأنواع

من التشجيع ، وما يصحّ أن يسمى عطف الآباء ورعاية
الأمهات ، مما يندر وجوده في كثير من الأقطار الشرقية
والغربية ، وإذا رأيت كفاح المملكة - عن طريق وزارة
المعارف - في محاربة الأميّة ، وإذا قارنت بين عناية حكومة
الأتراك والأشراف بموضوع التعليم في هذه البلاد وبين عناية
هذه الحكومة بهذا الموضوع ، وإذا قارنت بين نسبة المتعلمين
في تلك الحكومات ونسبة المتعلمين في هذه الحكومة غمرتني
موجة من السرور والإعجاب . ولم يسعني إلاّ الاعتراف
بعظمة هذا المشروع التعليمي العملاق الذي نهضت به المملكة
العربية السعودية في هذا العصر ، ووقفت أمام هذا الصرح
التعليمي الهائل مشدوهاً ذاهلاً لا أملك سوى الاعتراف بالأمر
الواقع ، والثناء العاطر على ولاية الأمر . ومن يرجع إليهم
الفضل في تحقيق هذه المأثرة الجليلة .

إن المسافة الطويلة الشاسعة التي قطعتها المملكة العربية
السعودية في مدة قصيرة في مجال التربية والتعليم وفي حقل العلم
والثقافة ونشر الكتابة والقراءة في الجبال والوادي والقرى - قبل عقود من
السنين ، وأن أفواج المتخرجين في المدارس والمتعلمين في
الجامعات الغربية والحائزين منهم على شهادات عالية والمتخصصين
منهم في مواد دراسية متنوعة والحاذقين منهم لعدة لغات
أجنبية ، إن كل هذه الحقائق تثير العجب والإعجاب بمآثر
هذه الحكومة وجهود وزارة المعارف . وهو العامل النفسي

القوي الذي يملأ جوانح النفس و يوشك أن لا يدع مجالاً للتفكير في موضوع آخر ولا يسمح إلا بالتهنئة الحارة وبالشكر الخالص .

فرق بين بلد وليد لا رصيد له ، وبين بلد له جذور في الماضي ، وخيوط تربطه بالحاضر والمستقبل :

إنني إذا وقفت في بلد قد قفز إلى الوجود في طرفة عين ، ودخل في مصاف الأمم المتمدنة بين عشية وضحاها ، وانتقل من طور البداوة إلى طور الحضارة من غير (ذاتية) يعتز بها ، ومن غير رسالة ينوء بها ، ومن غير عقائد ومبادئ مخصوصة يؤمن بها ويرتبط بها ارتباط الجسم بالروح واللفظ بالمعنى ، ومن غير دعوة يعرف بها وتعرف به ، ومن غير تاريخ وماض يستلهم منهما المعاني الشريفة ، ويستمد منهما الثقة والقوة ، لو وقفت في مثل هذا البلد الوليد الحديد الذي لا يتصل بالحياة ولا بالأمم المعاصرة ، ولا بالقضايا الإنسانية إلا عن طريق البطون والمعدات ، وعن طريق الحرف والصناعات ، وعن طريق اللغة واللهجات ، وعن طريق النقوش والكتابات ، وعن طريق الحكومة والسفارات ، لكان هذا هو العامل الوحيد الذي يتحكم في عقليتي ويسيطر على حديثي .

انتشار العلم المجرد ، والتخلص من الأمية ليس مقياس النجاح في بلد يدين بدين ، ويحمل رسالة وحضارة :

أما العامل الثاني ، فهو الحذر والإشفاق ، وقد ظل الحب الخالص مصدر الحذر والإشفاق دائماً — ، ورافقه

الغيرة في كل زمان ومكان ، وذلك أن هذه الجزيرة ذات شخصية فرضتها عليها الحكمة الإلهية قبل مئات من السنين ، واقرنت بها اقتران الطبيعة والمزاج بفرد أو جماعة ، ورافقتها في رحلتها التاريخية الطويلة الشاقة المستقيمة الهادئة أحياناً ، والمنعطفة الملتوية أحياناً من غير أن تفارقها أو أن تتخلف عنها ، ولو فترة قصيرة من الزمان . وقد ساعدتها على ذلك جميع العوامل التاريخية والطبيعية والحلقية والاجتماعية ، وألحت على أن تحتفظ بها وتستقيم عليها ، وهي ذات رسالة اختارها الله لها واختار الجزيرة لها وارتبطت مصلحة كل واحدة منهما بالأخرى ، وأصبحت محاولة تجريد كل واحدة منهما عن الأخرى محاولة أثيمة إجرامية ، فضلاً عن أنها محاولة غير طبيعية ومخففة دائماً .

وقد منحت هاتان الحقيقتان التاريخيتان الطبيعيتان هذه الجزيرة مركزاً رئيسياً في كل فترة من فترات التاريخ ، ووضعتها في محل القيادة والتوجيه والإشراف والحسبة ، ورفعتها عن مستوى التقليد والإتباع والتمثيل والمحاكاة والتلمذة والتطفل ، ومجرد التنفيذ والتطبيق والاقتباس والتلقين ، وفرضت عليها بطبيعة الحال الأصالة والإستقلال ، سواء في الأساليب المدنية ، أو المناهج التعليمية . فليست قضية هذه البلاد التعليمية من البساطة والسهولة بالمكان الذي يتصوره كثير من رجال التربية والتعليم ، ولا يقاس النجاح فيها والتغلب على مشكلاتها بانتشار مجرد القراءة والكتابة في الجمهور ، وكثرة

وجود مدارس البنين والبنات ، وقيام عدد ضخم من الثانويات والكليات ونشوء بعض الجامعات ، وكثرة عدد المتخرجين فيها ، والقاصدين إلى عواصم الأرض للتوسع في الدراسات العليا والعائدين منهم بنجاح باهر ، والشاغلين منهم للمراكز الإدارية والتعليمية الرئيسية ، فذلك مقياس يمكن أن يكون لبلد مغمور من بلاد أفريقيا التي دخلت في حلبة المدنية العصرية حديثاً . وقد أبى اليابان البوذي وأبت الهند البرهمية أن تتخذاه المقياس الحقيقي أو الهدف الأسمى من نشر العلم والثقافة ومحاربة الأمية والجهالة وألحنا على أن يكون هذا التعليم وهذه الثقافة مصطبغين بصبغتهما الحضارية الخاصة ، وفلسفتهما العريقة في القدم ، خاضعين للأسس الفكرية والجذور العميقة التي تؤمنان وتعضان عليها بالنواجذ .

رفض البلاد السوفيتية الأخذ بمبدأ التعليم والتربية كمبدأ عام، واستيراد منهج من الخارج ، وغيرتها على عقيدتها وفلسفتها:

وإضافة إلى ذلك فالبلاد السوفيتية التي رفضت الأديان قاطبة ، وقطعت شوطاً بعيداً في حرية الرأي ، وشاع عنها أنها تمنح كل إنسان حق الأخذ بما يحب ويختار ، وخلعت ربقة القيود والحدود ، وحاربت فكرة تقديس جميع أفراد البشر وفيهم الأنبياء والرسل والزعماء الروحيون ، وقادة الفكر وأصحاب المدارس الفكرية ، وأنكرت الإحتكار بكل أنواعه ومظاهره إن هذه البلاد لم تأخذ بمبدأ التعليم والتربية من حيث

هو مبدأ إنساني عالمي وتراث بشري مشاع ، وماء صاف سائغ لا يتلوّن بلون ، ولم تسمح باستيراد منهج من مناهج التعليم في خارج المعسكر الشيوعي ، ولا بإدخال العلوم والآداب التي نشأت في حضارة المربين البورجوازيين أو الارستقراطيين — كما تقول اللغة السوفيتية — والتي طعمت بأفكارهم ونزعاتهم وطرق تفكيرهم ويخاف منها إضعاف العقيدة الشيوعية أو التشكيك فيها . إن روسيا هذه التي حملت راية التحرر والثورة على كل تقليد وتقديس وتحديد وتقييد ، قد أخضعت جميع العلوم والآداب النظرية منها والتطبيقية حتى علوم الطبيعة والجغرافيا والتاريخ لمبادئها الشيوعية ، ولنظريات قادتها ومؤسسي دعوتها « كارل ماركس » و « انجلس » و « لينين » وربطت بين هذه العلوم وبين أسس أولئك القادة رباطاً وثيقاً مقدساً ، تغار عليه غيرة المؤمنين القدامى على عقائدهم وحرماتهم وغيره العرب الأولين على عرضهم وأهلهم ، ويعلنون ذلك من غير أن يأخذهم في ذلك حياء أو تردد .

ونكتفي هنا بشهادة واحدة لأحد أئمة التربية في البلاد السوفيتية ، يقول عالم طبيعي من كبار علماء البلاد السوفيتية M. C. Govern « إن العلم الروسي ليس قسماً من أقسام العلم العالمي ، إنه قسم منفصل قائم بذاته ، يختلف عن سائر الأقسام كل الاختلاف . فإن سمة العلم السوفيتي الأساسية أنه قائم على فلسفة واضحة متميزة ، إن التحقيقات العلمية لا تزال في حاجة إلى أساس وأن أساس علومنا الطبيعية الفلسفة المادية

التي قدمها (ماركس) و (انجلس) و (لينين) و (ستالين) ،
إننا نريد أن نخوض – وفي أيدينا هذه الفلسفة – في معترك العلم
الطبيعي العالمي ونصارع جميع التصورات الأجنبية التي تناهض
فلسفتنا المادية والماركسية بكل حزم وقوة .

العلم السوفيتي له سمة خاصة ، وأساس مستقل :

وهكذا استطاعت أن توفق بين العلوم التي احتاجت
اليها والمبادئ التي آمنت بها وتجعل منها وحدة متكاملة
متناسقة ، ولم تترك فجوة بين الحياة التي تعيشها أو تسعى
اليها وبين المبادئ التي تؤمن بها وتدعو اليها بحماسة وقد
حاربت في سبيلها حرباً شعواء ، وسلمت بذلك من الاضطراب
الفكري والقلق النفسي الذين يسودان في عالم تتوزعه القوى
المتناقضة ويسوده النفاق والتناقض .

**إباء البلاد الرأسمالية من استيراد المناهج التعليمية ،
واستعارة الأساتذة الأجانب :**

وكذلك البلاد الرأسمالية وإن اشتهرت في العالم بمبدأ
التسامح الديني والحرية المطلقة في المذاهب والآراء ، والاستفادة
من كل مصدر ومن كل انتاج بشري في مجال العلم والتجربة ،
إن هذه البلاد كذلك لا تسمح بالمواد الأجنبية والمناهج التعليمية
التي تبذر بذور الشيوعية والاشتراكية المتطرفة ، وتستعزى
بفكرة الملكية وثمار الثروة وتنظيمها على غير أسس الشيوعية
الماركسية ، ولا تسمح ولا تفكر في استيراد أقل عدد من

الأساتذة من البلاد السوفيتية مهما بلغوا في البراعة والإبداع ،
والتفوق في العلوم والفنون ، ولم يقف الأمر على هذا الحد
بل قد أصبح قادة التربية والتعليم في الغرب لا يرون استيراد
منهج تعليمي من بلد إلى بلد ولو كانا يلتقيان على العقيدة
والفكرة الأساسية في الاجتماع والنظرة الواحدة إلى الإنسان
والحياة والكون . فلا تفكر إنجلترا في استعارة المناهج التعليمية
والنظريات التربوية من فرنسا ولا فرنسا من إنجلترا — وهما
الحليفان في الحروب والزميلتان في الصلح — فضلاً عن
أن تقتبسا هذه المناهج من المانيا المنافسة الدائمة لهما ، البغيضة
القديمة اليهما .

وقد جمعت اللغة الانجليزية والثقافة الانجلوسكسانية
والمصالح السياسية الكثيرة ، والزمالة المتكررة في حربين
عالميتين ، والمشاركة في الدم والنسل إلى حد كبير بين الشعب
البريطاني والشعب الاميركي ، وساد في البلدين المذهب
البروتستانتي فهو مذهب الأكثرية الساحقة في هذين البلدين ،
ولكن رغم هذه الالتقاءات كلها لا يرى الموجهون لسير
التربية والتعليم والواضعون لسياستها في أمريكا استيراد مناهج
التعليم وموادها من بريطانيا

النظام التعليمي ليس بضاعة تستورد من بلد إلى بلد :

ومن رأيهم أن النظام التعليمي ليس من البضائع التي
تستورد من بلد إلى بلد ، كالمصنوعات أو المواد الخام أو

مرافق الحياة . يقول الأستاذ الأميركي الكبير الدكتور
(Dr. J. B. Conant) في كتابه التربية والحرية
(Education and Liberty) : « إن عملية التربية ليست
عملية تعاط وبيع وشراء ، وليست بضاعة تصدر إلى الخارج
أو تستورد إلى الداخل ، إننا في فترات من التاريخ خسرنا
أكثر مما ربحنا باستيراد نظرية التعليم الانجليزية والأوروبية
إلى بلادنا الأمريكية » .

لقد علمنا جميعاً أن هذا العصر ، عصر المشكلات
والأزمات ، وإن كان لكل عصر طابع يغلب عليه ويكون له
سمة وشعاراً ، فطابع هذا العصر القلق النفسي والاضطراب
الفكري ، وعدم الثقة ، والشعور المتزايد لدى كل طبقة
وفرد بما له من حقوق ، والتهرب من واجباته ومسئوليته ،
ولعل نصيب الجامعات أوفر من نصيب كل مؤسسة ومنظمة
لأنها دار الشباب ، وهم أكثر خضوعاً لروح العصر ولما
تغزوه من موجات واتجاهات لحداثة سنهم وعدم نضجهم ،
وقلة الصبر والاحتمال عندهم ، ولأن جميع الأحزاب
السياسية والحركات الثورية تستغل هذه الخصائص وما عند
الشباب من حماس وطموح واندفاع ، وتستخدمهم في كل
بلد لغاياتها السياسية ولقلب النظام ، ونشر الفوضى وتتخذهم
مطية لأغراضها التافهة الحسيسة أحياناً ، والهدامة أحياناً أخرى ،
فأصبحت الجامعات في الغرب والشرق أكبر مسرح للفوضى

والقلق ، ونقطة انطلاق للإضرابات والاضطرابات ، وتوزعت
جميع الجامعات بين معسكرين معسكر رجال الإدارة ،
وأسرة التعليم ، ومعسكر التلاميذ والشباب ، والحرب قائمة على
قدم وساق بين هذين المعسكرين ، كأنها حرب بين المستعمرين
والمواطنين ، وبين ظالمين ومظلومين .

وقد أصبحت قضية الجامعات وما تعانيه من مشكلات
وأزمات (فضلاً عن هبوط المستوى الخلقي والعلمي والانساني
وان التعليم قد أصبح لا يؤتي أكله ولا يحقق غايته) القضية
الكبرى في الغرب والشرق وهي أكثر تعقداً في بلادنا لأنها
تمر بمرحلة دقيقة انتقالية حتى أصبح بعض قادة الرأي وساسة
البلاد يرون أن ضرر هذه الجامعات والتعليم العالي أكبر
من نفعه ولكن الأمر قد أفلت من أيديهم لما نشروا من دعاية
ساحرة مسلحة بأقوى الأساليب العلمية والنفسية للتعليم العالي
وحاجة البلاد إلى أكبر عدد من الجامعات حتى أصبح ذلك
مقياساً لحضارة البلاد وقابلية الشعوب ولما بالغ الكتاب والمثقفون
في تمجيد العلم والثقافة خصوصاً الثقافة الراقية مبالغة تشبه
التقديس والتأليه ، من غير اشتراط لشروط ، وتنويه بالغايات ،
فأصبحت الثقافة والتعليم العالي في أي لون كان إلهاً يعبد
ويقدس وأصبح شيئاً خيالياً شعرياً ككثير من المعاني والخيالات
الشعرية عند الاغريق وبراهمة الهند حتى أصبح الواقعيون
العمليون يشكون في منزلة العلم التي أنزله فيها الفلاسفة

ويشكون في الفطرة الإنسانية وصلاحياتها ، وليس الخطأ خطأ العلم ولا خطأ الفطرة البشرية ، إنما الخطأ تقديس العلم مجرداً من كل غاية ومن كل خلق ومن الإيمان والعقيدة « ومبدأ العلم لأجل العلم » الذي آمن به الغرب أخيراً ، والطريق القويم هو طريق الأنبياء ، وطريق القرآن في وصف العلم والعلماء وما شرع له من آداب وأحكام ، وما حدد له من غايات ، ونحن في غنى في هذا المجلس الموقر الذي ضم نخبة العلماء وصفوة المفكرين في الأفاضة في هذا الموضوع .

إن هذا السيل من القلق والفوضى لم يحس خلال جامعاتنا الإسلامية ومعاهدنا الدينية بعد ، وإنها لا تزال تعيش في هدوء كثير حتى أصبحت الجامعات المدنية ورجالها يحسدونها ويستغربونها . والفضل في ذلك يرجع إلى الإيمان والعقيدة . وإجلال العلم والعلماء الذي أمرت به الشريعة الإسلامية وزخر به الكتاب والسنة ، وما عند شبابنا المسلمين من بقايا أخلاق إسلامية وتقاليد اجتماعية .

ولكن الفتنة تدق أبواب هذه الجامعات فإنه لا مجال لجزيرة على البر . وإن هذه الجامعات مهما كانت لها من أسوار منيعة ليست بعيدة عن هذه الحياة القلقة الثائرة ، والمجتمع المائج الهائج ، فلنكن على حذر من هذه الأخطار التي تهددنا ، ولنأخذ لها أهبتنا .

ولهذا القلق الذي قد سيطر على الجامعات من زمان ،

وحوّلتها إلى ميدان حرب ونضال أسباب كثيرة ليست بمكان من الدقة والغموض تحتاج فيه إلى تحليل وضرب أمثال ولكن أسبابه الرئيسية على ما يبدو لي خمسة أشير إليها باختصار :

١ - عدم الإيمان بقيمة ما تعطيه هذه الجامعات من ثقافة ومعلومات وصلاحية ، وعدم إيمان الشباب بحاجتهم إليها حاجة المشرف على الغرق والمعرض للتلف إلى الإنقاذ ، بل بالعكس من ذلك إيمانهم بضالة الفائدة التي تحصل لهم من هذا الطريق الطويل ، الملتوي ، الشاق العسير ، المكلف للأموال الباهظة والمتاعب الجمة وبضخالة الثقافة التي تحصل لهم في هذه الجامعات وفصول الدروس ، والإنسان منذ وجد على هذا الكوكب مؤمن بمنطق النفع خاضع لمجل لمن كان سبباً له في ذلك .

٢ - تشكك الشباب في إخلاص المعلمين والعاملين في هذه المراكز الثقافية ونزاهتهم وسموهم ، وانهم على مستوى هو فوق مستواهم في العلم والعمل والخلق والاستقامة ، وفي الذكاء والمواهب ، وفي الاجتهاد والجهاد لأداء رسالتهم ، بل يرون كثيراً منهم دون مستواهم ويرونهم محترفين بصناعة التعليم لا يمتازون عن المحترفين الآخرين من أصحاب المهن والصناعات بكثير .

٣ - ضعف الصلة بين الأساتذة والتلاميذ إذا كان هنالك أساتذة بالمعنى الحقيقي ، وإذا كان التلاميذ بالمعنى الحقيقي ،

فقد تحولت الجامعات والمعاهد العلمية حتى الدينية الاسلامية منها من أسر مؤتلفة يسود عليها الاخاء والتعاون ، والحب والرقه ، يوقر فيها الكبير ويرحم فيها الصغير إلى طبقات متنافسة لا تلتقي إلا على الأغراض والاستغلال ، وصلة المعلم بالتلميذ صلة سطحية موقته لا تتجاوز الفصول والدروس .

٤ - عدم وجود رسالة يؤمن بها الشباب ويتحمسون لها ، ويتفانون في سبيلها ، ويتشرفون ويتظرفون بحملها والاعتزاز إليها ، وعدم وجود دعوة تشغلهم وتستحوذ على مشاعرهم وتجعلهم بمأمن من أن يكونوا فريسة لدعوات أخرى فلا سبيل إلى تأمين شباب متفتحي القلب والعقل من الوقوع في شباك الدعوات والفلسفات إلا أن يُحوّلوا إلى دعاة أصحاب عقيدة ومبدأ ، ولا سياج للقلب ولا حارس له أفضل من الحب ، فإن الحب إذا وقع في القلب واستولى عليه منع من أن يغزوه حب آخر و « ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه » .

٥ - عدم وجود العاطفة القوية الدافقة ، والايمان الملتهب ، وقد عجز العلم - في تاريخه الذي دُوّن وعُشِر عليه - عن أن يقاوم المغريات المادية والتزوات النفسية ، كما عجز مقدار من العقل عن مقاومة الفتن الداخلية والخارجية ، بل كانت وظيفة العقل مقصورة على تهيئة الدلائل العلمية والمبررات العقلية لما يزين له الشيطان وتجنح إليه النفس ، وان دوره في مثل هذه المواقف دور المحامي الحاذق والحقوقي البارع

الذي يدافع عن كل قضية في لباقة ومهارة ، وفي براعة وبلاغة ، وخبرة دقيقة بالقوانين والحقوق .

وقد أهملت المراكز التربوية كلها جانب العاطفة والحب والإيمان واعتبرته من خصائص بعض النظم التي كانت محدثة دخيلة على الإسلام والتي تنافي في نظر بعض قادة التعليم ورجال الفكر روح الشريعة الإسلامية والطريقة السلفية ، مع أنه حاجة من حاجات البشر ومطلب من مطالب الإسلام إذا نُقِّيَ مما التصق به في العهود الأخيرة ، وقد اتصف بهذا الجانب الرعيل الأول من المسلمين من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، ولولا هذا الإيمان القوي والولوع والحب العميق وقوة العاطفة (ولا مشاحة في الاصطلاح) لما ظهرت منهم هذه الروائع الإيمانية والبطولات التي لا نظير لها في تاريخ الأمم .

إن إهمال هذا الجانب قد جنى على نظامنا التعليمي جناية كبيرة وأفقده العمق والرقّة والسمو ، وقوة المقاومة وصلاحية الإبداع ، وإشعال القرائح وتدفعها ، فأصبح نظامنا التعليمي نظاماً خشياً جامداً لا حياة فيه ولا حركة ، ولا نمو فيه ولا ازدهار ، وأصبحت مراكزنا الثقافية وجامعاتنا الإسلامية مراكز حياة رتيبة جامدة يسود عليها الركود ، ويهيمن عليها الجمود ، وتتحكم فيها القوانين واللائحات .

وهذا الذي تحدثنا به من مشكلات مراكز التعليم العصري

والجامعات المدنية طبيعي معقول يجب أن لا يثير استغراباً ولم يكن مجرد مفاجأة أو مصادفة ، بل هي طبيعة الأشياء .
والشجرة لا تلام على ثمرتها الطبيعية ، ولا أبلغ من التعبير النبوي ، فهذه المعاهد العلمية هي (خضراء الدمن) .

أما بخصوص مراكز التعليم الديني والثقافة الإسلامية –
والجامعة الإسلامية عضو كريم من أعضاء هذه الأسرة الكريمة –
فكان من المفروض أن تكون بعيدة كل البعد عن تأثير هذه
الأسباب وفعل هذه العوامل فإن الأسباب التي تحدثنا عنها
وليدة المادية ونتيجة التعليم اللاديني والنظرة الخاصة إلى التعليم
والعلوم والآداب وتجريد العلم عن الإيمان والعقيدة والحلق
والسيرة ، والفصل بين الدين والدنيا .

بالعكس من ذلك إن نظامنا التعليمي قائم على الإيمان
بشرف العلم ، وفضل العلماء ، ونظرته إلى العلم ومكانته
ومصادره ومهمته ورسالته تختلف كل الاختلاف عن نظرة
النظام التعليمي الغربي المادي ، وكذلك نظرة التلاميذ إلى
أساتذتهم وكل ما يتصل بالعلم من وسائل وأدوات ، وأسباب
ومقدمات ، تختلف اختلافاً كبيراً عن نظرة المتعلمين في
الغرب وفي العصر الحديث ، ولنظرة عجي في فضائل العلم
والعلماء في الإسلام ، وما ورد فيها من آيات وأحاديث ،
وما أُلِفَ فيها من كتب ورسائل ، تكون مكتبة مستقلة
تكفي لفهم الفرق بين أبناء المعاهد الدينية ومراكز التربية
العصرية .

ولكن من الواقع الذي يجب أن نعترف به تأثير الزمان والبيئة والفلسفات العصرية والعوامل السياسية والاقتصادية كان عميقاً جداً في أبناء جامعاتنا الإسلامية ومعاهدنا الدينية لم يخل عنه المعلمون والمربون وقد أصيبت طائفة كبيرة من الطلبة باللبلة الفكرية والقلق النفسي وعدم الإجلال للعلم والعلماء ، وعدم الثقة بفائدة هذا العلم وقيمته ، ونذر من كان مخلصاً في طلبه للعلم يطلبه ويعكف عليه إيماناً واحتساباً ، وابتغاء مرضاة الله يعتز بمكانته ويحمد الله عليها ، منقطعاً إليه بقلبه وقاله متحملاً للأذى في سبيله ، يرى في اكتسابه لذة وعزة لا تعدلها لذة وعزة ، متضلعاً من الدعوة ، متسامياً برسالته ، مؤمناً بها كل الإيمان صاحب عاطفة قوية وحب دافق يتمرد به على الشهوات والنزوات ، والشكوك والشبهات ، يؤثر ولا يتأثر ، ويحرك ولا يتحرك ، ويعلو ولا يعلى عليه .

بل مع الأسف نجد كثيراً منهم لا يمتازون عن نظرائهم وأقرانهم شباب الجامعات المدنية في الأخلاق والأذواق والإيمان بصلاحية الإسلام وخلوده وحاجة البشرية إليه بل ربما كان من تأثر من شباب الجامعات المدنية بدعوة دينية أو شخصية إسلامية قوية أو مطالعة صالحة أحسن حالاً وأقوى إيماناً وأكثر حماساً للإسلام من شباب الجامعات الدينية الذين لم يسعدهم الحظ بذلك .

وقد تجلى هذا الاضطراب في الفكر والعمل والهدف

بوضوح في بيئة جامعية كانت ملتقى عناصر مختلفة من أنحاء العالم ، وكان فيها مزيج من الثقافات واللغات والبيئات ، ولم تجد الوقت الكافي والشخصيات القوية المؤثرة التي تربط بين هذه العناصر المختلفة والمزيج من الشباب وتضفي عليها صبغة واحدة ولم تستطع أن تصهرها في بوتقة عقيدة واحدة وغاية واحدة ، وازدادت القضية تعقداً ودقة حين انضم إلى هذه العوامل المضعفة عامل الاغراء المادي ، فكان الدافع لكثير من الشباب المنحة الكريمة ذات القيمة التي ينالونها في هذه الجامعة وزاد الطين بلة عدم وجود الحياة الاجتماعية حياة دور الإقامة والأروقة التي يعيشها الشباب في الجامعات الدينية القديمة وعدم وجود شخصية قوية مغناطيسية تشرف على هذه الأجنحة من دور الإقامة والأروقة ، وتهيمن عليها بجاذبيتها وإخلاصها وتوجعها ومعرفتها الدقيقة بنفسية الشباب وعقدها ، وتنمي الملكات وتربيتها .

والعلاج عندي في هذه البيئة المضطربة المتناقضة يتلخص في النقاط الآتية :

١ - إثارة الإيمان والاحتساب في نفوس الشباب والاعتناء الزائد بفضائل العلم والعلماء ووجوب الإخلاص والتحذير من أغراض العلم الدنيوية ، أو طلب العلم لغير الله ولغير الدين ، وما ورد فيه من وعيد شديد ، ومعلوم أن الكثرة الكاثرة من شبابنا اليوم ليس مرضه تحديد غرض الفساد أو

الإفساد ، والزيف ، والإلحاد إن مرضه هو عدم الجدية وعدم التفكير في غاية العلم ومقاصده والغفلة عنها ، فتجد العدد الأكبر من هؤلاء الطلبة لم يفكروا في يوم من الأيام لماذا يتعلمون ولم يحددوا لهم غاية ، فبدأوا عملهم من غير تفكير ومن غير تصميم ، ويجب الاستعانة في ذلك بالاشادة بالآيات والأحاديث التي وردت في فضائل العلم والعلماء والتنويه بها بمناسبات مختلفة ، وعن طريق المحاضرات والخطب والرسائل والحديث والمذاكرة ، وقد أقر علماء النفس والتربية أنه لا توجد قوة أكثر عمقاً وأشد سلطاناً على النفوس من الإيمان بالمنافع والإيمان بالفضائل وذلك الذي حدا بالصحابة ومن تبعهم إلى الشهادة في سبيل الله وبذل النفس والنفيس في خدمة الإسلام ، وهانت عليهم بذلك حياتهم ولذاتهم وأوطانهم وولدانهم ومطالب النفس والجسد .

٢ - إن مشكلات دور التعليم مشكلات طريفة متجددة لا يأتي عليها حصر ، ولا يضبطها قانون وهي ، كالثوب البالي إذا رفي من جانب تناثر من جانب آخر ، أو كقطيع من الغنم إذا ضُبط من جانب أفلت من جانب آخر ، والمفتاح الرئيسي لهذه الأقفال التي ليس لها عدد ولا حصر ، هو وجود الأساتذة الذين أكرمهم الله بقوة الشخصية ورسوخ الإيمان والعلم ، والعقل السليم والقلب الرقيق والعاطفة القوية ، فهي العصا السحرية التي لا تمس شيئاً إلا غيرته وحجر الفلاسفة الذي لا يمس التراث إلا ويحوله تبراً ، وهي الثروة الكبرى

والطاقة الهائلة التي يمكن الاعتماد عليها في فض المشكلات وحل
الأزمات .

٣ - وجود دعوة إيجابية قوية تشغل عقول الشباب
وتستولي على مشاعرهم وتحرك ملكاتهم العملية وما طبعوا
عليه من حب للحركة والعمل والكفاح ، ولا تدع مكاناً
لدعوة أخرى يؤمنون بفضلها وشدة الحاجة إليها .

وهذه الدعوة موجودة معلومة وعلى أساسها قامت كل
جامعة إسلامية وخاصة هذه الجامعة التي تقوم في مهبط
الوحي ومهجر الرسول صلى الله عليه وسلم ومنطلق الدعوة
الإسلامية في العالم وهي الدعوة إلى الله والدعوة إلى الدين
الخالص والتوحيد النقي الصافي وإلى دار السلام والتحلي
بفضائل الإسلام وإنقاذ البشرية من مستنقع الجاهلية - بأوسع
معاني الكلمة - الذي تردت فيه والخروج بالإنسان من
ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة ، ويمكن إثارة هذه الدعوة
وتنميتها عن طريقة السيرة النبوية وحياة المصلحين والمجددين في
الإسلام ، وتاريخ الدعوة الإسلامية في مختلف العصور ،
ويحسن أن تنظم للتربية عليها جولات دعوية ونحيمات
خارجية ومحاضرات علمية .

٤ - إيجاد نظام اجتماعي رواقى ، يعيش فيه الشباب
حياة اجتماعية إسلامية تحت إشراف أساتذة ومراقبين يكونون
القدوة الحسنة والمثل الكامل في الخلق والسيرة وذوق العلم

وذوق العبادة يتميزون لا عن الطلبة وحدهم بل عن عامة العلماء والأساتذة بمحاسبة النفس والاحتساب لله والتكشف في الحياة والبعد عن غوائل النفس ومكائد الشيطان ، يشعر الشباب بحرارة إيمانهم ورقة قلوبهم وشعورهم فيقتدون بهم بدافع من الحب والإجلال وحب للجمال والكمال لا بدافع قانوني ويتخذونهم مثلاً في الحياة .

٥ - تنظيم محاضرات عامة يدعى لها كبار العلماء وأقطاب الفكر الإسلامي تغرس في نفوس الشباب العقيدة القوية وتلهب الحمرة الإيمانية وتعيد الثقة بالإسلام ، وما اشتمل عليه من تشريع وتعليم ودعوة مناهج للحياة ، وتتناول القضايا التي تشغل العالم وتشغل الشباب بصفة خاصة والتحديات التي سيواجهونها بمجرد تخرجهم في الجامعة الإسلامية ورجوعهم إلى بلادهم وتعرض لها حلولاً في ضوء الكتاب والسنة وتعاليم الإسلام والعلم الصحيح وتحل العقد النفسية للشباب حلاً رقيقاً رقيقاً بحيث لا يشعرون أنهم يمرون بمرحلة « عملية جراحية » وأنهم يداوون كالمرضى أو يخرجون كالغرقى .

ومعلوم أن الجامعات مهما توسعت دائرتها وقوى نشاطها لا تستطيع أن تعطي الطالب الزاد الكافي من المعلومات عن التاريخ الماضي والعالم المعاصر والعلم الحديث لكثرة المواد الدراسية فلا بد أن يعتمد في إنارة عقول الشباب وتوسع نطاق معلوماتهم على المحاضرات التي ينتقى لها خيرة العلماء وأصحاب الاختصاص .

هذه هي الأساليب والطرق التي أعتقد أنها تزيل الشيء الكثير مما تعانيه الجامعات الإسلامية والمعاهد العلمية من أمراض وقلق واضطراب وعدم خضوع للنظام ، وعدم استفادة حقيقية مما هيأته لهم هذه الجامعات من أساتذة فضلاء ، ومكتبة غنية واسعة وأسباب الراحة والهدوء ، والعكوف على الدراسة ، وهي مما شرح الله لها صدور كثير من المربين وجربوها في مناطق عملهم وتجربتهم فنجحت .

ولا شك أن هذه البيئة الفاضلة بالإيمان والحنان ، العامرة بالرسالة والدعوة ، الملهمة للصبر والتقوى وعلو الهمة وسمو النظر المليئة بالروحانية والسكنية – والجامعة تعيش في رحاب المسجد النبوي وفي ظلال الآثار والذكريات الأولى – تساعد على تحقيق هذه الغاية في أكمل شكل ، والله المستعان ، وعليه الاعتماد والتكلان ، وصلى الله على خير خلقه محمد وآله وصحبه.

التربية لباس يفصل على قامة الشعب وملامحه :

إن التربية – أيها السادة – في نظر هؤلاء القادة الذين يغارون على شخصية شعوبهم وذاتية بلادهم – لباس يفصل على قامة هذه الشعوب وملامحها القومية وتقاليدها الموروثة ، وآدابها المفضلة وأهدافها التي تعيش بها ، وتموت في سبيلها : إنه لباس يجب أن ينسجم مع أجوائها وبيئاتها التي تعيش فيها ، والآداب والعادات التي تحتضنها والتاريخ الذي تغار عليه والنماذج والمثل العليا التي تعشقها وتتغنى بها ، ونحن المسلمون

بالأولى يتحتم علينا أن نجعل عقائدنا التي جاءت بها النبوة الأخيرة ، والدين الذي لم تعبث به يد التحريف والمسح ، ولم يخضع لقانون التطور والإرتقاء ، كما خضعت له الديانات الأخرى وعدلتها وهذبتها التجارب ، كما دل على ذلك تاريخ هذه الديانات وهي خاضعة لهذا القانون ، ولهذه العوامل الإنسانية دائماً ، ولا تتمتع العقائد عندها ولا الحدود الفاصلة بين الكفر والإيمان ، والدين والزندقة ، والتمسك والتحلل بالأهمية والسلطان ، كما تتمتع عقائدنا الدينية . وليس لديهم بين الكفر والإيمان ما لدينا من خطوط فاصلة ، وحدود حاسمة وفوارق واضحة لا تسامح فيها أكبر شخصية ، ولا تراعى فيها أكبر مصلحة ، فالديانات والعقائد في أمم أخرى رقيقة مائعة أحياناً ، مُبْهَمة غامضة أحياناً أخرى . أمّا الشخصية الإسلامية فإنها شخصية واضحة الملامح ، معلومة الحدود ،

مركز الجزيرة العربية الدقيق ، ومسئوليتها الضخمة :

والجزيرة العربية لا تشارك الشعوب الإسلامية في العقائد الدينية ، والشخصية الإسلامية فحسب ، بل إنها تنوء بأكثر أثقالها وتنهض بأعظم مسئوليتها من حيث هي الداعية الأولى لها ، والمحافظة الدائمة عليها ، فهي مصدر الدعوة الإسلامية ومقرها ومأرزها . وقد جاء في حديث صحيح (إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها) فنحن أولى بالغيرة على عقائدنا الدينية ، وشخصيتنا الإسلامية ورسالتنا الإنسانية ،

في كل ما نأخذ وما ندع ، وفي كل ما نبني ونهدم ، وفي كل ما نقتبس ونتلقى ، من أي شعب وبلد في العالم ، فنحن أولى بأن نفصل لباس التربية والتعليم والمناهج الدراسية والمواد العلمية على قامتنا ، وأن نخضعها أكثر من أي أمة وشعب لمبادئنا ، وأهدافنا التي نعيش لها والرسالة التي أكرمنا الله بها ، وكلفنا إبلاغها إلى الإنسانية كلها ، في كل عصر ، بقوله تعالى : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » وقوله : « وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس » .

يجب أن نتناول العلوم والآداب الغربية ، كمواد خامة ، ونصوغها صياغة جديدة وفق حاجتنا :

فيجب أن لا نتناول العلوم والآداب والمناهج التعليمية ونظريات التربية التي ظهرت في الغرب والشرق على أنها آخر ما وصل إليه العلم البشري ، وأنها شيء يتحتم على الأمم الشرقية أخذه وتطبيقه على علاته وطبائعه ، وعلى ما التصق به من عناصر محلية أو عوامل وقتية ، بل نأخذها على أنها تجارب بشر يخطئ ويصيب ، ويمشي ويتعثر ، ويبصر ويعمي ، ولا نأخذ العلوم والآداب واللغات على أنها أشياء قد بلغت نهايتها ، ونختم عليها بختم لا يفض بل نأخذها على أنها مواد خامة ، ونصنع منها ما نشاء وفق حالتنا وحاجتنا ، ونفرغها في قالبنا ، ونجربها مما اقترن بها - في غير لزوم ولا مبرر - من عوامل

الإلحاد والإفساد ، والاستخفاف بالقيم الخلقية ، ونأخذها نقية صافية مهيبة منقحة ، بل نطعمها بالإيمان بالله والنظر العميق — المؤسس على الإيمان — إلى الكون ، وهكذا نجعل العلوم والدراسات كلها في غير تعسف ولا إرهاب ، وسيلة للعلم والحكمة وسبيلاً إلى الإيمان والمعرفة فتكون مصداقاً لقوله تعالى : « ويتفكرون في خلق السموات والأرض ، ربنا ما خلقت هذا باطلاً » وقوله تعالى « إنما يخشى الله من عباده العلماء » .

إنها أعظم تجربة في العالم الإسلامي اليوم ، تقضي بها الظروف الحاضرة ، ويفرضها الصراع القائم بين العلم والدين ، وبين الطبقة المثقفة الحاكمة ، وبين الجمهور المؤمن السليم وأن هذه الجزيرة — بما هياها الله لها من الأسباب وأتاح لها من الفرص وقبض لها من حكومة انبثقت من دعوة دينية تدعو إلى الدين الخالص وتحكيم الكتاب والسنة وتفتخر بالإنساب إليهما — إن هذه المملكة هي خير حقل ومجال لهذه التجربة المباركة .

التربية والتعليم وسيلة لا غاية :

ولم تعد التربية والتعليم غاية في الأمم التي بلغت سن الرشد واستكملت الوعي ، وتحررت من رق العبودية والتقليد الأعمى ، بل أصبحت وسيلة ، وقد كان العالم في دور طفولته العقلية ينظر إلى أشياء كثيرة على أنها غاية وهدف ، ثم أصبح كل ذلك — مع تقدم العقل البشري والتجارب الطويلة — وسيلة

لغاية ، فلا غرابة إذا كان قد نظر إلى التربية والتعليم وإلى المدارس ومراكز الثقافة والمكتبات ودور النشر باعتبارها غاية ، ولا تزال هذه العقلية الطفولية شائعة مسيطرة في الشرق ، فنحن إذا علمنا عدداً كبيراً من أفراد الشعب فن القراءة والكتابة ، وإذا أسسنا عدداً من المدارس والكليات في بلد ، شعرنا بأننا قد أدّينا الرسالة وحققنا الغاية .

التعليم قنطرة تصل بين الحاضر والماضي ، وبين العلم والعقيدة :

ولكن الغرب الذي هام بالتعليم أكبر هيام ، وحمل رايته خفّاقة في العصر الأخير ، واشتهرت أكثر دوله وأقطاره بالعلمانية وبالحياد تارة ، وبالإلحاد تارة أخرى ، لم يعد ينظر إلى النظام التعليمي وإلى المناهج التعليمية ، من حيث هي آلات صماء لتعليم القراءة والكتابة ، ونقل المعلومات مبعثرة لا تربط بينها وحدة ولا تجمعُ بينها غاية ، ولا يسيطر عليها إيمان وعقيدة ، ولا تصل الجيل الحاضر بالماضي ، والأبناء بالآباء ، بل بالعكس من ذلك أصبح ينظر إلى النظام التعليمي من حيث هو قنطرة تصل بين الحاضر والماضي ، والحلف بالسلف ، والمعلومات بالعقائد وتدعم العقيدة الموروثة بالعلم والمنطق ، والدليل والحجة ، ويعتبر هذا النظام التعليمي الذي ينفق عليه أكبر جزء من ثروته ، وأعظم قسط من مجهوده ، وأوفر نصيب من ذكائه ، عملية بناء وتكوين ، لا عملية هدم

وتوهين ، ووسيلة ثقة بين الأفراد ورباطاً بين الجماعات لا وسيلة ثورة في الأفكار ، واضطراب في النفوس ، وتفكك في العرى والقوى .

معنى التربية والتعليم وتعريفهما عند قادة التربية والتعليم في الغرب :

وهنا ثلاثة شواهد لثلاثة من قادة التربية والتعليم وأئمة الفكر في العالم الغربي المعاصر ؛ يقول (سيربرسي نين) (Sirpercy Neinn) الذي يحتل الصدارة بين خبراء التعليم في بريطانيا في مقال له كتبه لدائرة المعارف البريطانية « لقد سلك الناس مسالك مختلفة في التعريف بالتربية ولكن الفكرة الأساسية التي تسيطر عليها جميعاً : أن التربية هي الجهد الذي يقوم به آباء شعب ومربوه لانشاء الأجيال القادمة على أساس نظرية الحياة التي يؤمنون بها . إن وظيفة المدرسة أن تمنح للقوى الروحية فرصة التأثير في التلميذ تلك القوى الروحية التي تتصل بنظرية الحياة ، وتربي التلميذ تربية تمكن من الاحتفاظ بحياة الشعب وتمد يدها إلى الأمام » .

وأن (جون ديوي) (John Dewey) الذي كان تأثيره في نظام التعليم الأمريكي أكبر من تأثير أي رجل في هذا العصر ، يقول في كتابه (الديمقراطية والتربية (Democracy and Education) أن الأمة إنما تعيش بالتجديد وأن عمل

التجديد يقوم على تعليم الصغار ، ان هذه الأمة بطرق متنوعة تكون من الأفراد الأميين ورثة صالحين لوسائلها ، ونظرية حياتها ، وتصوغهم في قوالب عقائدها ومناهج حياتها » ويقول البروفيسور كلارك Prof. Clark : « مهما قيل في تفسير التربية فمما لا محيص عنه أنها سعي للاحتفاظ بنظرية سبق الإيمان بها وعليها تقوم حياة الأمة ، وجهاد في سبيل تخليدها ونقلها إلى الأجيال القادمة » .

عناية اسرائيل الخاصة بالتربية الدينية ، والتقاليد اليهودية :

وعلى هذه النقطة تضغط اسرائيل ضغطاً شديداً ، فهي من أشد الدول تمسكاً بمبدأ تقديم الفكرة الدينية واللغة التي تعبر عنها وتضم ثروتها ، رغم جميع الاتجاهات التقدمية ومسايرة الدول الأوروبية الراقية وتوفر عدد كبير من البارعين في العلوم العصرية واللغات الأجنبية .

جاء في كتاب « التربية في الشرق العربي » وضع الدكتور رودرك ماثيوز والدكتور متي عقراوي : « أن أهم ما يسترعي الأنظار في المدارس الاسرائيلية في فلسطين أن لغة الدراسة في كافة المواد هي العبرية فيما عدا اللغات الانجليزية والفرنسية والعربية ، والعناية شديدة في جميع مراحل التعليم بالدراسة الدينية وجعل التعليم الديني أساس الصهيونية وتقدمها » .

ويفهم مما يلي هذه العبارة أن جميع أنواع المدارس

الاسرائيلية أو اتجاهاتها تبعاً للأحزاب التي ينتمي إليها آباء التلاميذ رغم اختلاف هذه الأحزاب في مثلها العليا التعليمية والدينية والسياسية تلتقي على هذه الفكرة الأساسية وتعنى عناية خاصة بالتربية الدينية ، ويرى بعضها أن التقاليد الدينية اليهودية هي النبراس الذي ينبغي أن تستهدي به نظم التعليم ويحتم بعضها على المعلمين أن يكونوا تقليديين ، أي أن يحرصوا على التقاليد اليهودية الأصولية (١) .

وجاء في مقال (التعليم العالي في اسرائيل) في مجلة فلسطين مقتبساً من الدراسة التي قدمتها دائرة البحوث والدراسات في الهيئة العربية العليا لفلسطين ما يلي : (ان سياسة التعليم العالي تهدف إلى تنمية العقيدة اليهودية والولاء لها . بالإضافة إلى الدعاية لاسرائيل وكسب الأصدقاء) وفي المقال تفاصيل هائلة عن العناية باللغة العبرية وجامعاتها وميزانيتها وتمويلها وما يبذل لها اليهود من عناية فائقة ، وأموال طائلة ، وتنظيمات دقيقة .

تقرير المحاكم العليا ، والأمم المتحدة ، بأن للأبوين الحق الأول في اختيار نوع التعليم وأسلوبه لطفلها :

وكان أساس هذا التفكير كله - الذي يجعل التربية وسيلة لتدعيم العقيدة ، والقيم ، والمفاهيم ، التي يؤمن بها الشعب ،

(١) راجع الفصل السابع عشر ، (المدارس الاسرائيلية ومناهجها) ص

وتنميتها وإذكائها — أن الأصل هو عقيدة الأبوين ، وإرادتهما ، وأن لهما الحق الأول في اختيار الوضع التعليمي لابنهما ، الذي هو قطعة من نفسيهما ، ووارث أعمالهما وأحلامهما .

وقد جاء في حكم محكمة الاستئناف في ولاية بومبائي (الهند) في شأن المرافعة التي رفعتها هيئة التعليم (المسيحية) في بومبائي ضد حكومة الولاية ، وطلبها من المحكمة أن تمنع الحكومة من تعليم أبناء المسيحيين ، ما لا يرضاه آباؤهم ، فأصدر رئيس القضاة ، وقاضٍ آخر الحكم الذي جاء فيه :

« الشيء الذي يتمتع به المواطن في ديمقراطية ، والذي له قيمة كبيرة هو حرية الفكر ، والذي لا يقبل جدلاً ولا نقاشاً ، أن النظام السهل الساذج لضبط الفكرة ، هو الإشراف على نظام تعليم الشباب ، »

إن الحكومة ليس لها حق في أن تقهر الأبوين ليعلما ابنهما التعليم الذي ترى وحدها ، أنه « التعليم الصالح » وفي إعلان الحقوق الإنسانية الذي تشترك الهند في عضويته ، يوجد كما يلي : « المادة ٦ » (رقم ٣) « الأبوان لهما الحق الأول في أن يختارا نوع التعليم الذي ينبغي أن يتلقاه طفلهما .

لذلك لما كان من حق الحكومة أن تجعل التعليم إجبارياً ، ونهياً الأسباب والمرافق لتلقي التعليم ، وتطبق منهاجاً خاصاً للتعليم في مدارسها ، لا يزال للأبوين الحق في أن يقرّرا هل

يذهب طفلهما إلى هذه المدرسة أو تلك المدرسة ، وأن يتلقى تعليمه في هذا الأسلوب أو أسلوب آخر ^(١) .

البلد الإسلامي العربي أحق بأن يستخدم العلم لترسيخ العقيدة ، وتثبيت دعائم الحياة :

فإذا كانت الأمم الغربية التي ضعفت صلتها بالعقيدة المسيحية وانحلت رابطتها بالقيم الخلقية التي دعت إليها تعاليم المسيح عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ، وساد فيها الشك والإضطراب وعدم الثقة بما يسمى حقائق ومقررات تنظر إلى نظامها التعليمي هذه النظرة الخاصة ، وتستخدمه لترسيخ العقيدة وتثبيت دعائم الحياة وإنشاء الإنسجام بين الفرد والجماعة ، وبين العقل والعاطفة وبين الماضي والحاضر ، فكيف بالأمة الإسلامية والبلد الإسلامي العربي الذي لم يحدث في تاريخه ما يسمى الصراع بين الكنيسة والعلم ، والدين والدولة ، ولا وجود عنده لنظرية فصل الدين عن السياسة ، وليس الدين عنده قضية شخصية والذي لم يكن في فترة من فترات التاريخ فريسة الاتحاد المتطرف ، ولا الردة الدينية الشاملة .

(١) All India Reporter 1954 S.C. 561

الحربان العالميتان ، والجذام الخلقي في الشباب الجامعي أثبت إخفاق التعليم العالي :

ثم ان الحربين العالميتين الطاحنتين اللتين قادهما الرجال الذين بلغوا ذروة العلم والثقافة أثبتتا في الماضي القريب اخفاق التعليم العالي في تكوين الاخلاق الصالحة واحترام الإنسانية والعدل مع الأمم والشعوب الضعيفة . وان الجذام الخلقي الذي تجلى في الشباب الجامعي في أميركا وأوربا وفي الهند وكثير من البلاد الشرقية ، وعبت المتعلمين بالقانون والنظام ، وانسياقهم مع رغباتهم الصبيانية وأغراضهم الخسيسة ، كل ذلك دلّ دلالة واضحة على أن التعليم ليس غاية في نفسه ، بل هو وسيلة قد تنجح وقد تفشل ، وقد تنفع وقد تضر ، وقد تكون أداة بناء وتكوين ، وقد تكون آلة هدم وتقويض ، وانها إذا تجردت عن عناصر الحصانة الخلقية والتوجيه الصالح وعن العقيدة السليمة وعن الوازع الخلقي والديني ، فإن ضررها أكبر من نفعها . لذلك أصبحت التربية والتعليم في العالم الغربي ، وفن القراءة والكتابة لا قيمة لها في ذاتها عند كثير من قادة الفكر وأئمة التربية والتعليم في العالم الغربي وأصبحت وسيلة تقوم بقيمة نتائجها وأخلاق حملتها ودورهم في تكوين المجتمع وصيانه .

خضوع الجماهير للدعاية الساحرة للعلم المجرد ، وتقديسهم الزائد للثقافة المطلقة :

ان الدعاية الجبارة التي قامت في بلادنا الشرقية ونشطت لتمجيد التعليم ولفن القراءة والكتابة بتعبير أصبح ، وما ظهر من المبالغة والإسراف ، والخيال الشعري في قيمة الثقافة والتعليم العالي ، والتصوير البشع الذي صُورت به الأمية في كل حال ، والإزدراء والسخرية بالأفراد الذين لم تمكنهم الفرص من تلقي التعليم الجامعي ، كل ذلك أضفى على التربية والتعليم وعلى الثقافة نوعاً من القدسية والروحانية ، وجعل الناس يغضّون النظر عن حقائق كثيرة وعن عيوب ومواضع ضعف في الطبقة المثقفة في بلادنا ، وأصبح كثير من المغرورين يفضلون المتعلم المجرم اللئيم على الأمي المستقيم الكريم ، ويفضلون العصر الذي انتشر فيه فن القراءة والكتابة وانتشر التفسخ الخلقي ، والبلبلّة الفكرية والتشكك في المقررات والمسلمات والحقائق والبديهيّات ، وتشاغل الناس فيه بأنفسهم وأولادهم وفقدت الغيرة الدينية والخلقية وأصبحت المادة إله الجميع ، أصبح كثير من الناس يفضلون هذا العصر على جميع علاته على عصر توفرت فيه جميع الفضائل الدينية والخلقية على قلة نسبة المتعلمين وندرة المثقفين ، وانحصار فن القراءة والكتابة في نطاق محدود ، وما ذلك إلا لخضوع هؤلاء لهذه الدعاية السطحية التي استخدمت لتحويل شأن التعليم والشهادات العلمية .

انه تفكير سطحي يجب أن يترفع عنه أحرار الفكر وأصحاب الرسالة والمؤمنون بقيمة الأخلاق والأعمال الصالحة والمميزون بين الوسائل والغايات .

مصير الشعب الذي يتضخم فيه العلم على حساب العقيدة والخلق :

لقد أثبت التاريخ مرة بعد مرة أن الشعوب التي تتخذ الوسائل غايات والعلوم والفنون آلهة تعبد ويقوى فيها النظر والجدل على حساب الخلق والعمل ، ويكثر فيها الافتتان (بالفنون الحميلة) وتضعف فيها الإرادة وقوة المقاومة للمغريات ووسائل الترفيه والتسلية وتضعف فيها الغيرة والحمية ، وتعشق الحياة والملذات ، وتنتشر فيها البلبلة الفكرية ، وينتشر فيها التشكيك الشامل للعقائد والآداب والاستخفاف بجميع التقاليد والعادات التي كان فيها الشيء الكثير من القوة والصلاح . ويتطاول فيها الريب إلى مصادر الدين ومراجع التاريخ وإلى الشخصيات القديمة ، والحوادث التاريخية وإلى الأعراف والعادات ، يقود هذه الحملة فيها كبار الأساتذة وحقاق الأدباء ونوابغ الباحثين وحملة الأقلام ومنشئو الصحف ، وينتشر هذا السم في كل طبقة من طبقات الأمة ويتسرب إلى عقول الشباب ونفوسهم ، ويتغلغل في أحشائهم ، فإن هذه الأمة لا تثبت أمام أي عدو زاحف أو قوة مهاجمة ، ولا تثبت

في معركة يوماً واحداً ، وهذه قصة اليونان وقصة الرومان
وما يوم النكبة في الشرق العربي منا بعيد .

لنكن واقعيين عمليين ، ولنقدر الحقائق :

فلنكن واقعيين ولنحكم على التعليم العالي وعلى الثقافة
الغربية الحكم الصحيح الدقيق ، المؤسس على التجارب
والحقائق ، ولا ننظر إليها كالدواء الوحيد ولا ندين لها بالعظمة
والتقديس ، ولنضبطها بعناصر مقومات تنفي عنها عوامل
الضرر والإفساد ، ودواعي الزيف والإلحاد والاتجاه الزائد إلى
الميوعة والتحلل ، والإضطراب والتشكك في كل شيء ،
ولنكيفها مع عناصر ثقافتنا وشخصيتنا الإسلامية ، وطبيعتنا
العربية الشرقية ، ولنخضعها لرسالتنا العالمية الخالدة ومبادئنا
ونجعلها جنداً من جنودها .

**أساس كل تفكير وتصميم ، أن الجزيرة العربية هي غرس
محمد عليه الصلاة والسلام ، وثمره دعوته وجهاده :**

وأخيراً لا آخراً يجب أن لا نخطو خطوة في سبيل التربية
والتعليم وفي تصميم المدنية وفي سبيل أي مخططات نضعها لهذه
الجزيرة حتى نعرف ونذكر أن هذه الجزيرة العربية التي نعيش
فيها الآن ونتحدث عنها هي غرس محمد صلى الله عليه وآله
وسلم ، وثمره دعوته وجهاده وله ولأصحابه وللمؤمنين بدعوته

وحدهم الحق عليها ، فيجب أن يكون كل شيء يقوم في هذه الجزيرة - من تنظيمات وتصميمات ومخططات ومؤسسات - معترفاً بهذا الحق خاضعاً لهذا الأصل ، عائشاً في هذا الظل ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حريصاً كل الحرص دقيقاً كل الدقة في أن تبقى هذه الجزيرة حصناً حصيناً للإسلام ، متماسكة قوية بعيدة عن كل اضطراع ديني وفوضى فكرية ، فعن جابر بن عبد الله قال أخبرني عمر بن الخطاب أنه سمع رسول الله ﷺ يقول ^(١) « لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع فيها إلا مسلماً » . وقال ^(٢) : « لا يجتمع دينان في جزيرة العرب » . وقد شملت هذه الوصية الحكمة والتعليم العميق الدقيق إقصاء كل عنصر يحدث في قلعة الإسلام وعاصمة محمد عليه الصلاة والسلام الثورة والردة وعدم الثقة بفضل الإسلام ، وخلود رسالته ، وعمومها للإنسانية ، وانحصار السعادة في العمل بها والنجاة في قبولها والإيمان بها .

الجزيرة العربية عاصمة الإسلام ، وحصن الدعوة ، فلا مجال للأديان المختلفة ، والفلسفات الهدامة فيها :

و (لا إكراه في الدين) وتاريخ الإسلام لا يعرف محاكم التفتيش ووسائل التعذيب التي امتازت بها القرون المظلمة في

(١) رواه مسلم .

(٢) عن ابن شهاب مرسل .

أوروبا ، ولكل واحد أن يختار لنفسه ما يحب من الآراء والنظريات ، ولكن لا يسمح بنشر الفوضى وبذر بذور الشك والضعف وفقد الثقة بالمبادئ والأسس الإسلامية ، في هذه الجزيرة التي هي قلب الإسلام ، ولا يؤذن بنشر الدعاية للقوى المعادية والمنافسة وللمعسكرات الأجنبية في عاصمة الإسلام وفي حصن الدعوة وفي ثكنة الجيش الإسلامي ، فمن لم تطب نفسه ولم ينشرح صدره للعقيدة الإسلامية ونبوة محمد عليه الصلاة والسلام ، وإمامته الخالدة العالمية وفضل تعاليمه ، ومن آمن بالفلسفات الأجنبية ، واقتنع بها وتحمس لها فليس له محل في الحقيقة في هذه الجزيرة ولا يجوز أن تتاح له الفرص وتهياً له الوسائل في توجيه العقول وتربية النفوس ولا يصح مطلقاً أن تقدم له أفلاذ أكباد هذه الجزيرة وخيرة شبابها ليصنع من هذه الفطر السليمة ، التي هي من أكرم ذخائر العالم الإسلامي وأنفس ثرواته وأكثرها استعداداً للنبوغ ، مصنوعات لا تنسجم مع العقيدة والدعوة التي قامت عليها وعاشت لها هذه الجزيرة منذ أكثر من ألف سنة ، والتي لا يزال العالم الإسلامي متطلعاً إليها ، متشوقاً لها ، بل لا يزال العالم الإنساني كله مفتقراً إليها مقدراً لها كل التقدير .

هذه خواطر ومشاعر أملاها الإخلاص لهذه الجزيرة والحب لإخواننا العرب الذي أصبح جزءاً من أجزاء الإيمان نابغاً من قرارة الضمير والوجدان ، وإني أطلب العفو والصفح الجميل ، إذا كان في هذه الكلمة صراحة بلغت حد المرارة وأساءت

بعض الإساءة إلى شعور السادة الأجلاء الذين بذلوا جهدهم ولا يزالون في سبيل توجيه التربية ، التوجيه الإسلامي وإنهاض هذه الجزيرة علمياً وثقافياً ، ولا يدخرون في ذلك جهداً ، فالنقد سهل والعمل صعب ، والتوجيه ميسور والتطبيق عسير ، ولهم من صاحب الحديث كل احترام وتقدير وإعتراف بالفضل الكبير .

نسأل الله جاهدين مخلصين أن يبارك هذه المساعي ويسدد الخطى ، ويحقق المقاصد والآمال ، وتعيش هذه البلاد دائماً في ظل الإيمان والإسلام والأمن والسلام .

خطوط عريضة لجامعة الدعوة والإرشاد

مذكرة قدمها المؤلف في اجتماع المجلس
الاستشاري للجامعة الإسلامية في المدينة المنورة
المنعقد في المدينة المنورة يوم ٢٢ ذي الحجة
عام ١٣٨١ هـ. نشرها لما فيها من توجيه
للعقول وتنوير للأبصار ، وللمؤسسات الإسلامية
والمعاهد الدينية في العالم الإسلامي عامة .

فكرة الجامعة الإسلامية ومشروعها :

لقد كانت فكرة الجامعة الإسلامية فكرة جليلة جاءت
في أوانها وهي تملأ فراغاً عظيماً ، كان عقلاء العالم الإسلامي
ورجال التعليم والتربية الإسلامية يشعرون به من مدة طويلة وقد
حدثت بها المحدثون في أوقات مختلفة ، وقد قيض الله لها
الحكومة السعودية فكانت ماثرة من مآثرها الجليلة الكثيرة التي

يسجلها التاريخ ، ويذكرها المؤرخون ، في المستقبل باجلال وتقدير .

ولقد كان لقيامها في المدينة المنورة صدى في أنحاء العالم الإسلامي ما سمع لمشروع آخر منذ زمن طويل ، وتلقى المسلمون هذا النبأ بتفاؤل عظيم واستبشروا به وعلقوا به آمالاً جساماً ، ولذلك عظم خطر هذه المؤسسة وعظمت مسئولية القائمين بها إذ أصبح العالم الإسلامي لا يطيق ولا يسيغ إخفاقاً جديداً لمشروع جديد لكثرة ما تحمل من النكبات وبكثرة ما مني به من إخفاق المشروعات وخصوصاً إذا توفرت الوسائل لتحقيق هذا المشروع ، وقامت به حكومة من أغنى الحكومات الإسلامية - والحمد لله - فلتق الله في هذا العالم المرهق والمشغن بالجراحات ولا نمتحنه برزية جديدة وخيبة أمل جديد .

تحديد الهدف :

لا بد من تحديد هدف لهذه الجامعة . فالجامعات في العالم الإسلامي كثيرة وقديمة وكبيرة فلا بد لهذه الجامعة الوليدة من ميزة تمتاز بها وشعار يميزها بين شقيقاتها .

وهدف الجامعة الإسلامية يتلخص عندي في جملة واحدة وهي تخرج الدعاة إلى الله ، القائمين بالدعوة في فقه وبصيرة وتعمق ، وهي تستدعي الرسوخ في العلم والدين والإطلاع على ما تجدد ويتجدد في هذا العصر الجديد ، والإيمان الجديد

بخلود رسالة الإسلام وصلاحياتها لكل زمان ومكان واقتناعه بأن محمداً ﷺ هو خاتم الرسل ومنير السبل وإمام الكل ، وإذا ملأت هذه الجامعة هذا الفراغ بإذن الله قامت بعمل تجديدي عظيم تشتد حاجة المسلمين إليه .

ويجب أن يكون هذا الهدف نقطة يدور حولها نظامها ومناهج دراستها ويقوم عليها جهازها العظيم وينخضع كل شيء في هذه المؤسسة من كتب ونظم وأساتذة لهذا الهدف .

والآن أحب أن أتكلم عن وسائل تحقيق هذه الفكرة في شيء من التفصيل وأحرص بقدر الإمكان على طرق إيجابية عملية .

المواد الدراسية الأساسية :

يجب أن يكون من المواد الدراسية الأساسية الكتاب والسنة والسيرة النبوية :

أما القرآن فيجب أن يدرس كالكتاب المعجز الخالد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، بطريقة يؤمن بها الطالب بخلود هذا الكتاب العظيم وإعجازه وبكونه المفتاح الرئيسي لأقوال الحياة . وتكون عقيدته وهتافه (إن ربي على صراط مستقيم ^(١)) ولا يؤمن به مجرد إيمان بل

(١) سورة هود : الآية ٥٦ .

يتذوقه ويمتلىء بحبه حتى يملك عليه ذلك مشاعره وتفكيره فهو الكتاب الوحيد الذي يرافقه في رحلته الطويلة المعقدة وهو الذي يفتح به كل قفل ، ويحل به كل مشكلة ، وينتصر به على كل معارضة ، وبمقدار تذوقه والتضلع منه والنزول في أعماقه ومقدار إيمانه به وثقته واستحضاره له يستطيع أن يؤدي مهمته ويتغلب على الصعوبات .

وينوه في تدريس القرآن بصفة خاصة بعقيدة التوحيد النقية الخالصة ويجب أن يكون أساس علم التوحيد وشرح العقيدة الإسلامية والبحث في الذات والصفات كما شرحه الرسول ﷺ وفهمه الصحابة والتابعون لهم بإحسان . وليس هناك طريقة أفضل وأقرب إلى الفطرة السليمة وأسهل فهماً وأشد تأثيراً في العقول – عقول كل عصر – من طريق القرآن بحيث يرجع الطالب إلى بلاده وبيئته وهي بيئة موبوءة في أكثر الأحوال بالعقائد ذات الصلة بالشرك وعادات جاهلية ، داعية إلى التوحيد النقي صارخاً (ألا لله الدين الخالص) وليس ما يسميه الناس بعلم التوحيد والكلام ووضعوا فيه كتباً طوالاً تكونت بها هذه المكتبة العظيمة في علم الكلام أوفى بالمقصود وأوقع في النفوس وأنفى للشك وأدعى إلى اليقين والإيمان وأشرح للصدور من علم العقيدة الذي يتضمنه القرآن ويقرره في أسلوبه السائغ الواضح الذي تقبله الفطر السليمة والعقول المستقيمة في كل عصر وجيل ، فيجب على الأستاذ أن يجعل القرآن أساساً وقاعدة لشرح العقيدة الإسلامية ، فمنه يستقي وإليه

يرجع ، وأسلوبه يقلد ولا يستطيع أن يقوم لهذا العمل إلا أستاذ قد تذوق القرآن وأصبح له شعاراً ودثاراً وكانت له بهذا الكتاب صلة قوية عميقة صلة شخصية لا تعتمد على الكتاب والدراسات وحدها ، وليست صلة دارس للكتاب بل صلة رجل يعيش بهذا الكتاب وفي هذا الكتاب .

ثم السنة يجب أن تدرس بطريقة يؤمن بها الطالب بقيمتها العملية وتوجيهها للحياة وتنظيم المجتمع الإنساني على أسس إيمانية جديدة وتكون العناية بنواحيها الخلقية والاجتماعية وتكون السيرة وتربية النفوس ووصلها بالله أبرز من ناحيتها الفقهية وهي ناحية مهمة لا شك ولكن لا ينبغي أن يكون البحث في المسائل الخلافية على حساب موضوعها ورسالتها وهي تركية النفوس وتهذيب الأخلاق والإقبال من الآخرة والزهد في حطام الدنيا والرغبة في العبادة ، وأن ينشأ الطالب على حب الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ويتبع سنته في الحياة كلها لا في قضايا معدودة تختلف فيها الأئمة والمجتهدون واختلفت فيها الأحاديث والروايات .

ويجب أن تراعى الشبهات التي وجهت إلى مكانة السنة في الشريعة الإسلامية وحجية الحديث وتاريخ تدوينه وما أثاره ويشير المستشرقون بين حين وآخر من أسئلة ومناقشات سوف يواجهها المتخرجون في هذه الجامعة والدعاة إلى الله والعاملون في الحقل الإسلامي ويجب أن يكون على بينة من أمره وثقة

بهذه المؤسسة العظيمة التي تنبثق من كتب السنة ومكتبة الحديث .
ويجب أن يتخرج الطالب من هذه الجامعة واسع الصدر
رحب الذراع ميالاً إلى جمع كلمة المسلمين ولم شتاتهم ويقصر
الفجوة بين المذاهب وأهلها ، حسن الظن بالأئمة المجتهدين
والسلف المتقدمين ، كارهاً بعيداً عن توسيع الفجوة بين
طوائف هذه الأمة وطبقاتها وبين الماضي والحاضر غير مشير
للضغائن والأحقاد القديمة ، والأمة لا تطيق اختلافاً جديداً
وإثارة للدفائن وما عفاه الدهر .

أما السيرة النبوية فيجب أن تكون من المواد الدراسية
الرئيسية إذ هي من أقوى العوامل لتكوين السيرة وتكوين
الإيمان بعظمة الرسول ﷺ والباعث على حبه فيجب الإكثار
من هذه المادة ويجب أن يعيش الطالب مع أستاذه أو أساتذته في
هذه البيئة وفي هذا الجو ، ووجود هذه الجامعة في مدينة
الرسول ﷺ وفي جواره الكريم يوجب التضلع والتأثر العميق
بهذه المادة ، ويجب أن يكون تدريس السيرة أو دراستها
بطريقة مؤثرة مرفقة حية لا تنقل هذه السيرة إلى الطالب بل
ينقل الطالب إليها وإلى أجوائها حتى يشعر أنه يعيش مع الرسول
ﷺ وأصحابه في عصره ويمتلئ حباً بهذه الشخصية الفريدة
وإجلالاً لها ويؤثرها على نفسه وعلى كل شخصية عرفها وأحبها
من الشخصيات القديمة أو المعاصرة ، ويحسن أن تكون سيرة
ابن هشام من المواد الدراسية ويحث على مطالعتها والإشتغال
بها والتضلع منها .

وفي هذه الناحية يشار إلى شكوك وأسئلة أثارها المستشرقون وإلى دسائسهم وتوضيح سوء نيتهم وضعف مأخذهم وقلة علمهم وتعمدهم للتشكيك والإختلاق وإخفاء الحق والتلبيس ويناقشون مناقشة علمية قوية مؤسسة على الدليل والبرهان قائمة على أساس التاريخ والعلم الحديث ويبرز في السيرة النبوية مواقع العظمة الإنسانية وجوانب الإعجاز والعبقرية وصلاحيات هذه الشخصية الكريمة لتكون قدوة لجميع الأجيال وأسوة حسنة لجميع طبقاتها وأفرادها والشخصية التي لا تسعد البشرية ولا تتزن الحياة ولا يقوم المجتمع الصالح إلا بالإقتداء بها وإتخاذها إماماً ورائداً .

ويلى هذه المواد الدراسية الأساسية فلسفة التشريع الإسلامي وحكم الشريعة وأسرارها ومقاصدها على أساس يخلو من التقليد والتطرف على منهاج حجة الله البالغة للإمام أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي مع مراعاة تطور العصر الحديث وما جدّ فيه من نظريات وفلسفات وإتساع دائرة البحث والتفكير فيه حتى شملت الحياة كلها وتناولت العلوم كلها .

ويليه كذلك علم الفقه وأصول الفقه فالذي أراه أنه لا غنى عن تدريس المذاهب الأربعة واختيار الكتب أو كتاب يعتمد عليه في ذلك المذهب ، فإذا تخرج الطالب في هذه الجامعة جاهلاً بمذهبه ومذهب المجتمع الذي سيعيش فيه ويقوم بدعوته في تلك البيئة لم يحسن القيام بأعباء الدعوة ولم يكن بينه وبين

بيئته إتصال يمكنه من النفوذ فيه ، وإحراز ثقته ولكن لا بد أن يكون تدريس هذه المذاهب بروح التسامح والميل للتوفيق وإتساع أفق الفكر وحسن التعليل للمذاهب الأخرى .

المواد الأخرى

الأدب العربي :

ولا تجوز الإستهانة في هذه الجامعة التي ستخرج الدعاة بقيمة الأدب العربي ولا يجوز الإقتصار فيه على مستوى ضعيف ، ومجرد مشاركة أو إلمام ، فما زال الأدب ولا يزال أقوى عامل للهدم والبناء وغرس الفكرة وإقتلاعها من النفوس وقد كان الدعاة إلى الله من عهد سيدنا علي بن أبي طالب إلى الحسن البصري إلى الغزالي وابن الجوزي إلى من نبغ منهم في الماضي القريب من الطبقة الأولى في البلاغة والتعبير وحسن الأداء وقوة التأثير ، بل كان كثير منهم أصحاب أساليب ومدارس أدبية ومن أئمة البيان ، وقد كانت — ولا شك — مكانتهم الأدبية وسليقتهم العربية من أقوى جنود الدعوة وأسباب الإنتصار والإنتشار لفكرتهم ، وقد استغل الأدب في هذا العصر قوم لإهدار القيم الخلقية وغرس الشك والنفاق في النفوس والمجتمع وتزيين الفحشاء والمنكر ونشر الأفكار الزائفة والفلسفات الهدامة ولا يقاوم ذلك ولا يقوم في وجهه

إلا أدب قوي دافق بالحياة وكتابة أصيلة مشرقة الديباجة ،
وأسلوب من أحدث الأساليب وأقواها ولا يتأتى ذلك إلا
بالتضلع من الأدب القديم ومصادره ونقد الأساليب الجديدة
والإطلاع الواسع عليها والممارسة للكتابة والإنشاء ، ولا بد
لذلك من توجيه أساتذة لهم مكانتهم في الأدب القديم والحديث
ويعدون في طليعة الأدباء والمنشئين الناقلين ، وهي حاجة من
أهم حاجات جامعة إسلامية تقوم على أساس الدعوة والتوجيه
وقد أصبح الأدب أشد تأثيراً في العقول والاتجاهات من الفلسفة
وعلوم الطبيعة ، وقد تمالأ مع الإلحاد وأصبح من أكبر أنصاره
ورائديه ، فلا بد من أن تواجه النار بالنار وتقابل الريح
بالإعصار ويضرب الأدب الملحد المتحلل بالأدب الإسلامي
القوي المؤثر ، وقد جنى على الدعوة والدعاة ضعف التعبير
والكتابة البعيدة عن التأثير وأفقدتها كثيراً من الواقع في النفوس
والسيطرة على العقول .

العلوم العصرية الجديدة :

ولا بد لأبناء هذه الجامعة ومتخرجيها من الإطلاع على
العلوم العصرية كعلم الإقتصاد والسياسة ولبعض العلوم الطبيعية
والجغرافية والتاريخ إذا لم يصل إلى درجة اطلاع الامام الغزالي
وشيخ الإسلام ابن تيمية على العلوم العقلية التي شاعت في
عصرهم فلا بد أن يكون في درجة اطلاع القساوسة والمبشرين

والمتخرجين في كلية القسس في (الفاتيكان) والذي يجهل هذه العلوم أو لا يرتقي فيها على درجة العوام والسوقة لا يقوم بمهمته ولا يتمتع بالثقة والإحترام في المجتمع .

الحاجة إلى مجمع علمي اسلامي :

وكان الأمثل أن يكون مجمع علمي إسلامي يؤلف في هذه العلوم كتباً تجمع بين جدة الإطلاع وغزارة المادة ومثانة البحث وبين إثبات العقيدة الإسلامية والتوفيق بين العلم والدين ، ولكن فاتنا وفات الحكومات الإسلامية هذا الإنتاج العلمي الذي كان المجتمع الإسلامي وجيلنا الحديد في أشد الحاجة إليه وكان ذلك وحده يجنبنا الصراع بين العلم والدين الذي أصبح العالم المسيحي فريسة له وكان من أعظم أسباب انتشار الإلحاد واتجاه العالم المعاصر إلى الثورة على الدين وعدم الثقة به ، وبوسع الحكومة السعودية إذا صح عزمها وتيسر لها الرجال الأكفاء أن تملأ هذا الفراغ الذي يشعر به رجال الفكر والدعوة في العالم الإسلامي القائمون على المؤسسات العلمية والتعليمية في مختلف أنحاء .

أساتذة مؤمنون :

ولكننا إذا فاتنا هذا العمل الجليل في الماضي ولا نستطيع أن نوقف عملية التربية ، ونعطل جهاز التعليم فيمكن أن

يتدارك ذلك إلى حد ما باختيار أساتذة يجمعون بين متانة العقيدة والإقتناع بالإسلام كدين خالد أبدي وبين الاطلاع الواسع العميق على العلم الحديث ، هؤلاء الذين يميزون بين القشر واللباب والزائف الفج غير الناضج من الآراء والنظريات وبين المختمر الناضج الحصيف من الآراء والتجارب ، الذين لا تغرهم الدعاوى العريضة والطبول الفارغة ، بل يعتمدون دائماً على حصيلة الاختبارات وعصيرة التفكير ، الذين ما زادهم التوسع في الدراسات والتفنن في العلوم والإحتكاك بالحضارة الغربية إلا إيماناً بالحقائق الغيبية والتعاليم الإسلامية ، إنهم القليلون في العالم الإسلامي ولكنهم غير مفقودين ، أولئك الذين إذا درسوا هذه العلوم العصرية الحديثة والنظم السائدة كوّنوا في نفوس الشباب ثقة جديدة وإيماناً جديداً بصدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وخلود الرسالة الإسلامية وعبقورية الشريعة السماوية وما أحوجنا وما أحوج هذه الجامعة إلى هذا الضرب من العلماء وما أحسن أثرهم على شباب الجامعة وما أعظم دورهم الذي يمثلونه في تكوين العقلية الجديدة وتكوين الجيل الإسلامي الجديد .

تاريخ الجاهلية والإسلام :

ومن أهم مواد هذه الجامعة الدراسية دراسة التاريخ ، ولا أعني به هذه القائمة العقيمة للأحداث ووفيات الرجال

وتقلبات الحكومات إنما أعني به تاريخ الديانات وتاريخ المجتمع البشري ، وتاريخ التطور الفكري والحلقي وتاريخ الجاهلية بأوسع معانيها وأوسع مساحتها. وتاريخ البعثة المحمدية ، وما أحدثت من إنقلاب وثورة في المجتمع وثورة في المفاهيم والقيم والاتجاهات وما أضافت إلى الثروة الإنسانية وما فعلت من المحو والإثبات وتاريخ المد والجزر في تأثير الإسلام وسيطرته ، وما سبب من سعادة وشقاء ونهضة كبيرة وما عاد على الإنسانية والمجتمع البشري بسبب قيادة الإسلام من الخير الكثير وما آل إليه العالم بزوال قيادته من الشقاء الطويل والويل الكبير ، هذا التاريخ الذي يجعل شبابنا الواعي يفكر في الجهاد لإنهاض المسلمين وإعادة الإسلام إلى مركزه في قيادة العالم .

تاريخ الدعوة والإصلاح :

وكذلك يحتاج أبناء هذه الجامعة وهم أفلاذ أكباد الشعوب الإسلامية إلى معرفة تاريخ الدعوة والتجديد في العالم الإسلامي حتى يكونوا على ثقة بأن الإسلام هو الدين المختار وآخر الرسائل التي لم تضع ولم تبتلعها الجاهلية في مختلف عصورها ، وإنه لم يزل يقاوم التيارات المعاكسة ويتغلب عليها ويثبت حياته وقوته ، ويحملهم هذا الرصيد التاريخي على الاختبار والمغامرة واستعمال مواهبهم وإثارتها وليسيروا في ضوء هذه التجارب إلى الغاية المنشودة التي قامت هذه الجامعة لأجلها وهي

تخريج الدعوة إلى الله الربانيين الذين ينفون عن هذا الدين تحريف
الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين .

هذه خطوط عريضة أيها السادة بالجامعة تقوم على أساس
جديد وإن كان أساساً قديماً وهو أساس الربانية والدعوة
إلى الله .

حقل الدعوة العملية :

ولا يقتصر مع أبناء هذه الجامعة على الدراسات والعكوف
على المطالعة والحياة بين الكتب وحدها ، بل يخرج بهم أساتذتهم
إلى حقل الدعوة العملية وإلى أوساط المجتمع ، أو تتاح لهم
فرص التجول مع الدعوة المخلصين والعلماء الربانيين في بلادهم
وفي الخارج حتى يجربوا الدعوة الإسلامية ومشكلاتها ويعرفوا
ما وصل إليه المجتمع الإسلامي والشعوب المسلمة من الجهل
والغفلة من الدين والإنغماس في الحياة وتكاليفها ، ويسهل
لهم التقشف في الحياة والبساطة في المعيشة ، وينشأوا على حب
العبادة وإتباع السنة في حياتهم العملية ولا يعيشوا في عزلة عن
الحياة الواقعية وعن صميم الحياة ولا يعيشوا في البرج العاجي
وفي عالم الأحلام والأوهام والنظريات العلمية فحسب .

ومفتاح المفاتيح في هذه الجامعة وجود أساتذة يجمعون بين
الإيمان القوي الراسخ والعلم العميق الواسع ويجمعون بين القدوة
الصالحة وبين دراسات واسعة يتضلعون من القديم ويفهمون

روح العصر الحديث ومشكلات الشباب ونفسياتهم وطريق
حلها ، متصلبون في الأصول متوسطون في الفروع ، يتورعون
في دينهم عن المداهنة وفي العلوم عن الحمود وضيق التفكير ،
أخذوا من القديم الرسوخ والتبحر في العلم ومن الجديد
الإستطلاع وحب الواقعية ، أولئك يندر وجودهم ولكن لا
يخلو منهم العالم الإسلامي فإن وجدت الشخصيات الجامعة فأنعم
بها وأكرم ، وإلا يوجد أفراد يسند بعضهم بعضاً ويكونون
المجموعة المطلوبة ويكونون بجوانبهم المشرقة هذا المجمع العلمي
الذي يسير بهذه الجامعة إلى الأمام ويخرج منها شباباً يقومون
بأعباء الدعوة الإسلامية في أنحاء العالم .

حيرة الشباب المردية

أسبابها وطرق علاجها

عقدت وزارة الأوقاف والشئون والمقدسات الإسلامية للأردن ، ندوة علمية في ١٨/٨/١٩٧٣ م ، في قاعة الكلية العلمية الإسلامية في عمان ، ساهم فيها أعضاء وفد رابطة العالم الإسلامي في مكة ، الذي كان في زيارةٍ لغرب آسيا ، ومن ضمنها المملكة العربية الهاشمية ، وحضرتها نخبة من الأساتذة الكبار والمثقفين وفضلاء البلد ، وأدارها الأستاذ محمد إبراهيم شقرة مدير المعهد الشرعي ، ووجه السؤال الآتي : العالم الإسلامي بأسره اليوم يعيش حيرة مردية ، عقيدة وتصورا وسلوكا ، وأبرز ما تكون هذه الحيرة في الشباب المسلم في بلادنا خاصة ، فريد أن نعرف أولاً ،

ما هي الأسباب التي خلقت هذه الحيرة أو ساعدت على وجودها ؟ وما هو العلاج الصحيح لهذه الحيرة ؟ وما هو الدور الإيجابي الذي ينبغي للدولة أن تقدمه في هذا الموضوع ؟
وكان جواب المؤلف في هذه الندوة وحديثه حول هذا الموضوع كما يلي :

يسعدني جداً أن أكون موضع ثقة في هذه الندوة العلمية ، وأن يوجه إلي وإلى زملائي هذا السؤال الذي هو في صميم الواقع ، وهو تصوير واقعي للواقع الذي نعيش فيه .

إني أصارحكم أيها السادة ! إني كنت مستغرباً جداً إذا لم يكن الشباب الإسلامي في حيرة كما تجدونه ، وتشعرون به ، إن الشجرة لا تلام على ثمرتها ، إن في إمكان البستاني أن لا يغرس شجرة من الشجرات ، ولكن ليس من المعقول ، وليس من الطبيعي أنه إذا غرس شجرة معينة ، ثم سهر عليها ، وغذاها ونماها ، وسقاها ، وأحى ليالي متوالية ، ووقف في وهج الشمس ، وفي البرد القارس ، ليحرس هذه الشجرة ، ولتؤتي أكلها بعد حين ، ثم إذا آتت أكلها الطبيعية ، لامها ونزل عليها غضبا ، وأنكر منها هذه الثمرة ؛ هذا شيء غير معقول وغير طبيعي ، لأن طبيعة الشجرة هي طبيعة الشجرة منذ خلق الله هذا الكون ، ومنذ خلق هذه الشجرة ، فشجرة الزيتون هي ستعطي ثمر الزيتون ، وشجرة الرمان ستعطي الرمان ، وهكذا .

إن من أعظم الأسباب في هذه الحيرة التي يعانيها الشباب المسلم بصفة خاصة وشباب العالم عامة ، هو التناقض في التوجيه ، والإعلام والتربية ، تناقض بين ما ورثوه وبين ما يعيشونه ، وبين ما يلقونه تلقينا وبين ما يطلبه منهم علماء الدين ، هذا التناقض العجيب الذي سلط عليهم ومنوا به هو السر في هذه الحيرة ، هذه الحيرة المردية ، هنالك عقائد آمنوا بها كمسلم ولد في بيت إسلامي في أسرة إسلامية ، ونشأ على كثير من العقائد ، وتلقاها بوعي أو بغير وعي ، ثم إنه نشأ في بيئة دينية تؤمن بمبادئ الإسلام ، وقرأ التاريخ الإسلامي - إذا أكرمه الله بذلك وتسنت له هذه الفرصة الكريمة - وكان سعيدا بوجوده في بيئة واعية دينية ، ثم سبق - ومعدرتي إلى إختيار هذه الكلمة ، لأنه لا يزال في سن مبكرة وليس له خيار - إلى دور ثقافة يسمع فيها من أولئك الأساتذة الذين يجلهم ، لأنهم أصحاب اختصاص ، وأصحاب زعامة في كثير من العلوم ، كل ما ينقض ما أبرمته البيئة ، وكل ما غرسته في قلبه وعقله من التربية الإسلامية ، يسمع ويرى كل ما ينفي ذلك ، أو ما يقلل قيمته على الأقل ، فيقع في تناقض عجيب ، وفي صراع فكري عنيف ، وهذا الصراع الفكري يدوم معه إلى أن يشاء الله ، أو تحدث معجزة ، إنها حقا في هذه البيئة التي يعيش فيها ، صراع من أدق أنواع الصراع ومن أصعب أنواعه ، الصراع بين القوى المتعارضة ، إنه قد يواجه الصراع في ساحة القتال ، ومدة ساحة القتال

قصيرة وإن طالت ، ولكن هذا الصراع يعالجه دائماً ، إنه يعالجه في المسجد ، ويعالجه في المدرسة ، ويعالجه في البيت ، ويعالجه فيما بينه وبين نفسه ، هذا الصراع المرير الهائل العميق ، يتلقى من مؤسسة « الإعلام » ومؤسسة الصحافة بالمعنى العام ، ومن التلفزيون الذي جاء حديثاً ، يسمعون إذاعات وأحاديث وبرامج تقضي على البقية الباقية من آثار التربية القديمة ، وتحدث فيهم ثورة فكرية ، وقلقا نفسيا ، والصحافة التي هي « صاحبة الجلالة » في نظر كثير من الناس تقدم إليهم في أول النهار الغذاء الفاسد العفن ، والمواد المثيرة المهيجة للعواطف ، قبل أن يكسروا الصفرا ، على تعبير إخواننا السوريين ، وقبل أن يتلوا شيئاً من القرآن ، فأول ما يقع عليه نظرهم صورة عارية لفتاة ، وعناوين مثيرة للغرائز ، أو مقالات مثيرة للشكوك ، مزعزة للإيمان والثقة ، فيتلقون هذا في رغبة ونهامة ، وفي شوق واستجابة ، إنه يقع في أيديهم كتب علمية لها عناوين هائلة ، وأسماء مرعبة ، صادرة من أناس آمنوا بفضلهم وعبقريتهم ، فيرون ما يشككهم في التاريخ الإسلامي ، يشككهم في مصادر الشريعة الإسلامية ، وحتى في مصادر اللغة والأدب الأولى ، ويشككهم في صلاحية هذه الأمة ، وفي خلود الرسالة التي يحملونها ، يشككهم في صلاحية اللغة العربية ، فيتلقون هذا المزيج العجيب ، وهذه الحميرة العجيبة ، من أفكار ومبادئ وإغراءات ، ومن نظريات علمية ، ويقعون من كل ذلك في

حيرة لا تعدلها حيرة ، فخلق بكل هذا أن يوقع الإنسان
— وإن كان ناضج الفكرة . فحتم العقل ، حصيف الرأي —
في حيرة ، فكيف بالشباب الغض الناعم ، وكيف لهذه البراعم
الناعمة التي لم تفتح بعد ، كيف يرجى منهم أن يقفوا أمام
التيارات المتصارعة ؟ !

إن مثل ذلك أيها الإخوان السادة ! كمثل عجلة أو مركبة
ركب فيها فرس في الأمام ، وركب فيها فرس في الورا ،
وكلاهما قويان ، فكما أن هذه العجلة من المعقول جدا أن
يكون ركابها في حيرة من أمرهم ، هذا يجرها إلى الأمام ،
وهذا يجرها إلى الورا ، فكذلك الشباب يتأرجحون في
أرجوحة يمينا وشمالا .

إن الأدب الذي لم يزل يواجهنا منذ خمسين سنة على
الأقل ، من العواصم العربية الكبرى ، التي كان لها التوجيه ،
وكانت لها الزعامة الفكرية والدينية ، غرس في قلوب الناشئة
وفي قلوب الشباب ، بل في قلوب كثير من الكهول بذورا
من الشك والاضطراب ، تشككوا حتى في وجودهم ،
تشككوا في كل ما تواتر واستفاض ، وأصبح من قبيل
البديهيّات ، إن هذه الكتب التي أريد من ورائها رزق أو
شهرة ، أو زعامة فكرية ، أو هتاف ، أو تصفيق حاد ، إن
هذه كلها غرست في قلوب شبابنا الشك والحيرة والتناقض ،
فأنا لا أستغرب هذا الوضع ؛ وهذا هو السبب الرئيسي ،
والسر في حيرة الشباب .

أما بخصوص العلاج فإنني أعتقد أن أول خطوة يجب أن نخطوها نحو إنقاذ الشباب من هذه الحيرة المردية هي توحيد نظام التعليم ، ولستم في حاجة إلى شرح هذه النقطة ؛ إن المعسكر التعليمي موزع بين قسمين : المعسكر الديني ، والمعسكر اللاديني أو العلماني ، أو المعسكر القديم ، والمعسكر الجديد ، وهذه الثنوية أو الازدواجية في التعليم ، هي السبب الأكبر في خلق هذه الحيرة التي يعيشها الشباب ؛ فأول خطوة نخطوها إلى الغاية الصحيحة لإزالة هذه الحيرة ، هو تنسيق غايات التعليم ومواد التعليم ؛ فهناك كما قلت تناقض في المواد الدراسية ، فالذي يبنيه تعليم يهدمه تعليم آخر ، والعلوم التي لم تكن لها صلة بالعقائد هي كذلك لها اتصال بالعقائد ، وما أصبح التعليم مجردا ، إن اعتقاد أن من التعليم ما هو محائد وما هو نزيه كل التزاهاة ، وما هو بعيد كل البعد عن التأثير في العقيدة ، قد أصبحت نظرية قديمة ولا نصيب لها من الصحة ، فالخطوة الأولى – الخطوة الثورية الجذرية – هي إحداث تنسيق في نظام التعليم ، فلا قديم ولا جديد ، ولا ديني بالمعنى اللاهوتي ، وبالمعنى الكهنوتي المسيحي الأوربي ، لا بالمعنى الإسلامي الصحيح ، فلا تعليم لاهوتي ، ولا تعليم دنيوي ، أو زماني أو علماني ، بل التعليم وحدة لا تتجزأ ، إنما ينقسم بين غايات ووسائل ، ولا بد أن تكون بين هذه الوسائل وحدة تربطها وتخضعها للغاية الأساسية .

ثم إزالة هذا التناقض ، الذي يعبر عنه لسان الشريعة
ولسان القرآن بكلمة « النفاق » إن هذا يحتاج إلى قلب نظام
التعليم رأسا على عقب ، يعني إحداث نظام تعليمي كوحدة
متكاملة متناسقة ، وهذا يحتاج إلى ثورة عارمة ، إلى ثورة
جريئة ودقيقة شاملة ، ويحتاج طبعا إلى أناس عندهم الأصالة
الفكرية ، لا يعيشون متطفلين على مائدة الغرب ، إنه يحتاج
إلى الاجتهاد في المواد الدراسية ، وهذا يحتاج طبعا إلى مشاريع
عمللاقة ، وإلى جهود كبيرة واسعة النطاق ، عميقة الجذور ،
ويحتاج كذلك إلى أن تتبناها الحكومات الإسلامية والمجامع
الإسلامية الكبيرة ، فإذا نجحنا في تطوير نظام التعليم تطويرا
جديدا ، وإذا نجحنا في إزالة النفاق عن هذا المجتمع الذي
نعيش فيه ، إذن من المؤمل أن ننقذ الشباب من هذه الحيرة
المردية .

وأما ما يتصل بواجب الحكومات الإسلامية فلا شك أن
دور الدولة عظيم وحاسم في إزالة هذه العوامل الهدامة ،
وفي رد المجتمع إلى حياة سليمة لا صراع فيها ولا حيرة ،
ولكن هذا يتوقف على أن تكون عند الدولة فكرة واضحة -
لست أعني دولة دون دولة ، ولا أعرض بدولة ، إنما هو
موضوع علمي - فكرة واضحة عن الدين الذي تؤمن به
وتدين ، وعن الأهداف التي تتبناها وتريد أن تعيش هذه
الأهداف ، ولا تعيش فقط ، بل تنمو وتزدهر ، وإذا أثرنا
التعبير الإسلامي الديني ، قلنا : « الإيمان والعقيدة » ،

إيمان راسخ ، وعقيدة جازمة بفضل الإسلام وبفضل الأهداف التي تدعو إليها وتعيش لها ، وأن تكون متمسكة بمبدأ الهداية لا الجباية ^(١) .

ثم الإنخلاص والعزم الصادق والتضحية التي لا غنى عنها ، هذه كلها عوامل لوجود بيئة مناسبة أو الأجواء المناسبة لنمو الشخصية الإسلامية وإكمالها ووصولها إلى الغاية المطلوبة .

إنني لست متشائماً ولا يائساً من دور الشباب ، ومن صلاحيتهم ، ومن حرصهم على أن يعملوا شيئاً في مجال الدعوة الإسلامية ، والفكرة الإسلامية ، وفي أن يمثلوا دورهم كشباب مسلم في هذا المعترك الفكري الذي لم يشاهد تاريخ الإنسانية معتركا فكريا مثله ، إن الشباب طبقات وأقسام كثيرة ، وليس هناك طراز واحد من الشباب ، إننا شاهدنا عددا كبيرا من الشباب يتلهفون شوقا إلى أن يلعبوا دورهم ، وهم في استعداد تام ، وعندهم التألم الشديد مما هو واقع حولهم ، إن هؤلاء الشباب هم أمل اليوم ، وجيل المستقبل ، وفي الحقيقة إن الشباب هم الذين يستطيعون أن يحولوا هذا التيار ، وعندي من المعلومات ما تؤكد لي أن في الشباب مجالا

(١) وتمثل هذه الفكرة خير تمثيل جملة مأثورة عن سيدنا عمر بن عبد العزيز يخاطب بها أحد عماله الذي شكاه إليه إنتشار الإسلام والنقص في الجزية : « ويحك ! إن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم إنما بعث هادياً ولم يبعث جابياً » .

واسعا للعمل الإسلامي ، والفكر الإسلامي ، وعندهم قلق ، والقلق أول خطوات النمو والتقدم والتحسّن ، إن الشباب قلقون اليوم ، وإنّ الحضارة الغربية قد عجزت عن تسليتهم وإرضائهم ، وإنّ هناك فراغا لم يملأ ولا يمكن أن يملأ ، إن هنالك دينا واحدا يستطيع أن يملأ الفراغ الهائل الذي أحدثته أوروبا بين القلب والروح والجسم والمادة ، وهذا من خصائص الحضارة الغربية التي لها تجارب خاصة ، ومراحل معينة مرت بها في رحلتها الطويلة ، ولكن مع الأسف الشديد ، ومن سوء حظ الإنسانية لما آلت القيادة إلى أوروبا أثّرت هذه الحضارة في تفكير الأمم التي كانت في عزلة عن هذه التجارب ، تجارب مجتمع خاصّ ، كانت لدينه طبيعة خاصّة ، وقد حدث فيه صراع بين الكنيسة والحكم ، وصراع بين تعليم الدين ، وصراع بين الكهنوت والعقل السليم والعلم الحديث ، هذا كله من تجارب الغرب ، وكان الشرق غنيا عن هذه التجارب لم يكن منها في غير ولا نفير ، لكن فرض الغرب ، وفرضت الثقافة الغربية هذه التجارب ، وانطباعات هذه التجارب ، ومردود هذه التجارب ، وقيمة هذه التجارب ؛ فنظرية « الدين قضية شخصيّة » و « الفصل بين الدين والسياسة » هذه كلها تجارب الأمم الأوربيّة لظروف خاصة ، وأجواء خاصة ، وللطبيعة المسيحيّة التي دانت بها أوروبا ، ولكنها قد أشركت فيها الشعوب الشرقية من غير سبب ومن غير مبرّر ، فهذا الفراغ موجود في الشباب ، والشباب بدأوا

يشعرون بهذا الفراغ ، إن ما نشاهده من انحرافات وشذوذ ، ومن مبالغات ومن تطرف في حياة الشباب ، وكل ذلك للشعور بهذا الفراغ ، وإنني أستطيع أن أقول في ضوء تجاربي ومشاهداتي في الشرق وفي آسيا : إن الشباب فيهم قابلية واستعداد كبير ليكونوا قادة حركة جديدة ، وليخوضوا هذه المعركة .

ولكننا نعيش في عزلة عن الشباب ، وعندنا كثير من سوء تفاهم ، ومن إساءة ظن ومن جهل للوضع الذي يعيش فيه الشباب ، فإذا ملئت هذه الفجوة بين الكهول والشباب ، وبين الدعاة إلى الدين وبين الشباب الجامعين ، والشباب المثقفين بالثقافة الغربية ، يمكن أن نجرّ عددا كبيرا إلينا ، ونجعلهم مقتنعين مستجيبين لهذه الدعوة ، متحمسين لها ، ولكن ذلك يحتاج إلى مخططات دقيقة عميقة ، مخططات علمية مدروسة ، يحتاج ذلك إلى مكتبة جديدة ، يحتاج ذلك إلى أسلوب جديد في الحديث مع الشباب ، يحتاج ذلك إلى الحكمة التي أشار إليها القرآن بقوله : « أدع إلى سبيل ربك بالحكمة ، والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتي هي أحسن » يحتاج ذلك إلى أن تكون عندنا أقلام قوية بليغة ، وأن تكون عندنا تلك المقدرة البَيّانية ، والطلاوة الأدبية ، وحلاوة التعبير ، التي لا يمكن لدعوة أن تشق طريقها إلى الأمام ، وأن تنفذ في عقول الشباب ، وفي نفوسهم عن غير هذا الطريق .

إننا نرى مع الأسف الشديد أن كثيرا من علمائنا الأفاضل
يعتبرون التضلع من آداب اللغة ، والحصول على تلك المقدرة
البيانية ، والأسلوب البليغ الذي يدخل إلى قرارة النفوس ،
من فضول واجبات العلماء وعلى هامشها ، وقد يعتبرون
ذلك ابتعادا عن وظيفتهم ، وانحرافا عن جادتهم ، مع أننا
نرى أن القرآن نوّه بهذه الحقيقة ، وكلنا نؤمن أن الله سبحانه
وتعالى هو أغنى الأغنياء ، ولكنه أنزل كتابه في أسلوب معجز ،
وفي لسان عربي مبين ، ولم ينزله في لسان عربي مبين فحسب ،
بل نوّه بهذه الناحية في غير موضع من مواضع القرآن ،
فقال : « نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين
بلسان عربي مبين » « إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون »
فمعنى ذلك أن ناحية اللفظ وناحية الأسلوب ، وناحية
البلاغة ، ناحية مهمة ، وإذا رجعنا إلى تاريخ الإصلاح
والتجديد رأينا أن الذين كانوا على قمة الإخلاص ، وعلى
ذروة الانقطاع إلى الله وإلى الربانية الصادقة ، كانوا لا
يستهيئون بهذه الناحية ، إنما كانوا يهتمون بها كل الاهتمام ،
ولا أضرب المثل بالنبي صلى الله عليه وسلم في هذه المناسبة ،
لأنه صلى الله عليه وآله وسلم أفصح الفصحاء ، وأبلغ البلغاء
من غير شك ، وهذا معروف عند الجميع ، ولكني أضرب
المثل بسيدنا علي بن أبي طالب ، إنه كان في قمة من البلاغة ،
ونواصل سيرنا إلى آخر القرون الإسلامية ، فرى أن
من تبوأ القيادة أو الزعامة في الدعوة الإسلامية كانوا على

جانب عظيم من البلاغة ، ومن فهم نفسيّة المخاطبين ،
إنني في الحقيقة أؤخذ بالحيرة إذا قرأت خطب سيدنا عبد
القادر الكيلاني ، فأنا أرى أن هذا الرجل الذي اشتهر في
العالم كله ، وفي جميع العصور ، بزهده وقناعته ، وبربانيته ،
وبإشراقه وتبتهله ، إنه يخاطب الجيل المعاصر والمجتمع الذي
يعيش فيه في بغداد ، البلد الذي ولد فيه الحريري ، وولد فيه
ابن الجوزي ، وولد فيه الصابي ، وولد فيه هؤلاء الشعراء ،
وتغنى فيه البحري ، والشريف الرضي ، والمتني ، وأبو
تمام ، والمعري .

كانت بغداد عاصمة عالم الإسلام ومركز الخلافة العباسيّة
كانت محطة كل عبقر من جميع الأصناف ، فسيدنا عبد
القادر الكيلاني نراه يخاطب الجيل المعاصر في بغداد بلسان
يخلق في البلاغة ، ويخاطبهم بأسلوب ساحر ، بأسلوب يبلغ إلى
الأعماق ، بأسلوب لا تزال له الصولة إلى الآن ، وإذا
قرأنا خطبه التي دوّنها المدوّنون ، وحرصوا على نقل اللفظ
الصحيح ، لاعتقادهم أنّ ما يصدر من القلب يدخل في
القلب ، وهذا كان من دواعي الحرص على نقل الكلام
بالحرف .

وهذا كله يعطينا الفكرة عن أهمية الأدب والأسلوب ،
إننا إذا أردنا أن نوجه الشباب التوجيه الإسلامي
العميق ، فعلينا أن نتسلّح لذلك وأن نُعيدَ له عدته، وأن

نستوفي تلك الشروط التي كانت لكل زمان ومكان ، وهي لا تزال لها قيمتها وأهميتها وتأثيرها ، وهو إحداث مكتبة إسلامية علمية ، تلائم عقلية الشباب وتؤثر فيها ، ويتقبلها الشباب بقبول حسن ، بل يتشوقون إليها ، ويمدون إليها يدهم ، فإذا وفينا هذه الشروط فإني واثق بأن الشباب مستعدون ليكونوا لا مؤمنين بهذه الفكرة فحسب ، بل دعاة متحمسين لهذه الفكرة والدعوة ، متفانين فيها ، متهاالكين عليها ، لا يعدلون بها شيئاً .

مشكلات الشباب

في الجامعات الدينية وعلاجها التسليم

كلمة ألقيت في المجلس الاستشاري
الأعلى للجامعة الإسلامية في المدينة
المنورة في ١٩/٤/١٣٩٤ هـ .

أما بعد ، فقد علمنا جميعا ان هذا العصر ، عصر
المشكلات والازمات ، وان كان لكل عصر طابع يغلب عليه
ويكون له سمة وشعارا ، فطابع هذا العصر القلق النفسي
والاضطراب الفكري ، وعدم الثقة ، والشعور المتزايد لدى
كل طبقة وفرد بما له من حقوق ، والتهرب من
واجباته ومسئوليته ، ولعل نصيب الجامعات أوفر من نصيب
كل مؤسسة ومنظمة لانها أوكار الشباب وخلاياهم ، وهم
أكثر خضوعا لروح العصر ولما تغزوه من موجات واتجاهات
لحدائث سنهم وعدم نضجهم ، وقلة الصبر والاحتمال عندهم ،
ولان جميع الاحزاب السياسية والحركات الثورية تستغل هذه
الخصائص وما عند الشباب من حماس وطموح واندفاع ،
وتستخدمهم في كل بلد لغاياتها السياسية ولقلب النظام ،

ونشر الفوضى وتتخذهم مطية لاغراضها التافهة الحسيسة
أحيانا ، والهدامة أحيانا اخرى ، فأصبحت الجامعات في الغرب
والشرق أكبر مسرح للفوضى والقلق ، ونقطة انطلاق
للاضرابات والاضطرابات ، وتوزعت جميع الجامعات بين
معسكرين معسكر رجال الادارة ، وأسرة التعليم ، ومعسكر
التلاميذ والشباب ، والحرب قائمة على قدم وساق بين هذين
المعسكرين ، كأنها حرب بين المستعمرين والمواطنين ، وبين
ظالمين ومظلومين .

وقد أصبحت قضية الجامعات وما تعانيه من مشكلات
وأزمات (فضلا عن هبوط المستوى الخلقي والعلمي والانساني
وأن التعليم قد أصبح لا يؤتي أكله ولا يحقق غايته) القضية
الكبرى في الغرب والشرق وهي أكثر تعقدا في بلادنا لأنها
تمر بمرحلة دقيقة انتقالية حتى أصبح بعض قادة الرأي وساسة
البلاد يرون ان ضرر هذه الجامعات والتعليم العالي أكبر من
نفعه ولكن الامر قد أفلت من أيديهم لما نشروا من دعاية
ساحرة مسلحة بأقوى الاساليب العلمية والنفسية للتعليم العالي
وحاجة البلاد إلى أكبر عدد من الجامعات حتى أصبح ذلك
مقياسا لحضارة البلاد وقابلية الشعوب ولما بالغ الكتاب والمثقفون
في تمجيد العلم والثقافة خصوصا الثقافة الراقية مبالغة تشبه
التقديس والتأليه ، من غير اشتراط لشروط ، وتنويه بالغايات ،
فأصبحت الثقافة والتعليم العالي في أي لون كان الهاً يعبد
ويقدس وأصبح شيئا خياليا شعريا ككثير من المعاني والخيالات

الشعرية عند الاغريق وبراهمة الهند حتى أصبح الواقعيون العمليون يشكون في منزلة العلم التي أنزله فيها الفلاسفة ويشكون في الفطرة الانسانية وصلاحيتها ، وليس الخطأ خطأ العلم ولا خطأ الفطرة البشرية انما الخطأ تقديس العلم مجردا من كل غاية ومن كل خلق ومن الايمان والعقيدة « ومبدأ العلم لاجل العلم » الذي آمن به الغرب أخيرا ، والطريق القويم هو طريق الانبياء ، وطريق القرآن في وصف العلم والعلماء وما شرع له من آداب واحكام ، وما حدد له من غايات ، ونحن في غنى في هذا المجلس الموقر الذي ضم نخبة العلماء وصفوة المفكرين في الافاضة في هذا الموضوع .

ان هذا السيل من القلق والفوضى لم يجس خلال جامعاتنا الاسلامية ومعاهدنا الدينية بعد ، وانها لا تزال تعيش في هدوء كثير حتى أصبحت الجامعات المدنية ورجالها يحسدونها ويستغربونها . والفضل في ذلك يرجع إلى الايمان والعقيدة ، واجلال العلم والعلماء الذي أمرت به الشريعة الاسلامية وزخر به الكتاب والسنة ، وما عند شبابنا المسلمين من بقايا أخلاق اسلامية وتقاليد اجتماعية .

ولكن الفتنة تدق أبواب هذه الجامعات فانه لا مجال لجزيرة على البر . وان هذه الجامعات مهما كانت لها من أسوار منيعة ليست بعيدة عن هذه الحياة القلقة الثائرة ، والمجتمع المائج الهائج ، فلنكن على حذر من هذه الاخطار التي تهددنا ، ولنأخذ لها أهبتنا .

ولهذا القلق الذي قد سيطر على الجامعات من زمان ،
وحوّلتها إلى ميدان حرب ونضال أسباب كثيرة ليست بمكان من
الدقة والغموض تحتاج فيه إلى تحليل وضرب أمثال ، ولكن
أسبابه الرئيسية على ما يبدو لي خدسة أشير إليها باختصار :

١ - عدم الايمان بقيمة ما تعطيه هذه الجامعات من ثقافة
ومعلومات وصلاحية ، وعدم ايمان الشباب بحاجتهم اليها
حاجة المشرف على الغرق والمعرض للتلف إلى الإنقاذ ، بل
بالعكس من ذلك ايمانهم بضآلة الفائدة التي تحصل لهم من هذا
الطريق الطويل ، الملتو ، الشاق العسير ، المكلف للاموال
الباهظة والمتاعب الجمة وبضحالة الثقافة التي تحصل لهم في هذه
الجامعات وفصول الدروس ، والانسان منذ وجد على هذا
الكوكب مؤمن بمنطق النفع خاضع مجلّ لمن كان سببا له
في ذلك .

٢ - تشكك الشباب في اخلاص المعلمين والعاملين في هذه
المراكز الثقافية ونزاهتهم وسموهم ، وانهم على مستوى هو
فوق مستواهم في العلم والعمل والخلق والاستقامة ، وحتى في
الذكاء والمواهب ، وفي الاجتهاد والجهاد لاداء رسالتهم ،
بل يرون كثيرا منهم دون مستواهم ويرونهم محترفين بصناعة
التعليم لا يمتازون عن المحترفين الآخرين من أصحاب المهن
والصناعات بكثير .

٣ - ضعف الصلة بين الاساتذة والتلاميذ اذا كان هنالك

أساتذة بالمعنى الحقيقي ، وإذا كان تلاميذ بالمعنى الحقيقي ، فقد تحولت الجامعات والمعاهد العلمية حتى الدينية الإسلامية منها من أسر مؤتلفة يسود عليها الاخاء والتعاون ، والحب والرقّة ، يوقر فيها الكبير ويُرْحَم فيها الصغير إلى طبقات متنافسة لا تلتقي الا على الاغراض والاستغلال ، وصلة المعلم بالتلميذ صلة سطحية مؤقتة لا تتجاوز الفصول والدروس .

٤ — عدم وجود رسالة يؤمن بها الشباب ويتحمسون لها ، ويتفانون في سبيلها ، ويتشرفون ويتظرفون بحملها ، والاعتزاز اليها ، وعدم وجود دعوة تشغلهم وتستحوذ على مشاعرهم وتجعلهم بمأمن من أن يكونوا فريسة لدعوات اخرى ، فلا سبيل إلى تأمين شباب متفتحي القلب والعقل من الوقوع في شباك الدعوات والفلسفات الا أن يُحوّلوا إلى دعاة أصحاب عقيدة ومبدأ ، ولا سياج للقلب ولا حارس له أفضل من الحب ، فان الحب اذا وقع في القلب واستولى عليه منع من أن يغزوه حب آخر و (ما جعل الله الرجل من قلوبين في جوفه) .

٥ — عدم وجود العاطفة القوية الدافقة ، والايمان الملتهب ، وقد عجز العلم — في تاريخه الذي دُوّن وعُشِر عليه — عن أن يقاوم المغريات المادية والتزوات النفسية ، كما عجز مقدار من العقل والذكاء عن مقاومة الفتن الداخلية والخارجية ، بل كانت وظيفة العقل مقصورة على تهيئة

الدلائل العلمية والمبررات العقلية لما يزين له الشيطان وتجنح اليه النفس ، وان دوره في مثل هذه المواقف دور المحامي الحاذق والحقوقي البارع الذي يدافع عن كل قضية في لباقة ومهارة ، وفي براعة وبلاغة ، وخبرة دقيقة بالقوانين والحقوق .

وقد أهملت المراكز التربوية كلها جانب العاطفة والحب والايمان واعتبرته من خصائص بعض النظم التي كانت محدثة دخيلة على الاسلام والتي تنافي في نظر بعض قادة التعليم ورجال الفكر روح الشريعة الاسلامية والطبقة السلفية ، مع انه حاجة من حاجات البشر ومطلب من مطالب الاسلام اذا نُقِّيَ مما التصق به في العهود الاخيرة ، وقد اتصف بهذا الجانب الرعيل الاول من المسلمين من الصحابة والتابعين لهم باحسان ، ولولا هذا الايمان القوي والولوع والحب العميق وقوة العاطفة (ولا مشاحة في الاصطلاح) لما ظهرت منهم هذه الروائع الایمانية والبطولات التي لا نظير لها في تاريخ الامم .

ان اهمال هذا الجانب قد جنى على نظامنا التعليمي جناية كبيرة وأفقده العمق والرقّة والسمو ، وقوة المقاومة وصلاحية الابداع ، واشتعال القرائح وتدفقها ، فأصبح نظامنا التعليمي نظاما خشيا جامدا لا حياة فيه ولا حركة ، ولا نمو فيه ولا ازدهار ، وأصبحت مراكزنا التربوية وجامعاتنا الاسلامية مراكز حياة رتيبة جامدة يسود عليها الركود ، ويهيمن عليها

الحمود ، وتتحكم فيها القوانين واللائحات .

وهذا الذي تحدثنا به من مشكلات مراكز التعليم العصري والجامعات المدنية طبيعي معقول يجب أن لا يثير استغرابا ولم يكن مفاجأة أو مصادفة ، بل هي طبيعة الاشياء . والشجرة لا تلام على ثمرتها الطبيعية ، ولا أبلغ من التعبير النبوي ، فهذه المعاهد العلمية هي « خضراء الدمن » .

أما بخصوص مراكز التعليم الديني والثقافة الاسلامية – والجامعة الاسلامية عضو كريم من أعضاء هذه الاسرة الكريمة – فكان من المفروض أن تكون بعيدة كل البعد عن تأثير هذه الأسباب وفعل هذه العوامل فان الأسباب التي تحدثنا عنها وليدة المادية ونتيجة التعليم اللاديني والنظرة الخاصة إلى التعليم والعلوم والآداب وتجريد العلم عن الايمان والعقيدة والخلق والسيرة ، والفصل بين الدين والدنيا .

بالعكس من ذلك ان نظامنا التعليمي قائم على الايمان بشرف العلم ، وفضل العلماء ، ونظرتُهُ إلى العلم ومكانته ومصادره ومهمته ورسالته ، تختلف كل الاختلاف عن نظرة النظام التعليمي الغربي المادي ، وكذلك نظرة التلاميذ إلى أساتذتهم وكل ما يتصل بالعلم من وسائل وأدوات ، وأسباب ومقدمات ، تختلف اختلافا كبيرا عن نظرة المتعلمين في الغرب وفي العصر الحديث ، ولنظرة "عجلى في فضائل العلم والعلماء في الاسلام، وما وَرَدَ فيها من آيات وأحاديث ،

وما أُلّف فيها من كتب ورسائل ، تكاد تُكوّن مكتبة مستقلة تكفي لفهم الفرق بين أبناء المعاهد الدينية ومراكز التربية العصرية .

ولكن من الواقع الذي يجب أن نعترف به تأثير الزمان والبيئة والفلسفات العصرية والعوامل السياسية والاقتصادية كان عميقاً جداً في أبناء جامعاتنا الإسلامية ومعاهدنا الدينية لم يخل عنه المعلمون والمربون وقد أصيبت طائفة كبيرة من الطلبة بالبليلة الفكرية والقلق النفسي وعدم الإجلال للعلم والعلماء ، وعدم الثقة بفائدة هذا العلم وقيّمته ، وندر من كان مخلصاً في طلبه للعلم ، يطلبه ويعكف عليه إيماناً وإحتساباً ، وإبتغاء مرضاة الله يعتز بمكانته ويحمد الله عليها ، منقطعاً إليه بقلبه وقاله متحملاً للأذى في سبيله ، يرى في اكتسابه لذة وعزة لا تعدلها لذة وعزة ، متضلّعاً من الدعوة ، متسامياً برسالته ، مؤمناً بها كل الإيمان صاحب عاطفة قوية وحب دافق يتمرد به على الشهوات والنزوات ، والشكوك والشبهات ، يؤثر ولا يتأثر ، ويحرك ولا يتحرك ، ويعلو ولا يعلى عليه .

بل مع الأسف نجد كثيراً منهم لا يمتازون عن نظرائهم وأقرانهم شباب الجامعات المدنية في الأخلاق والأذواق ، والإيمان بصلاحية الإسلام وخلوده وحاجة البشرية إليه بل ربما كان من تأثر من شباب الجامعات المدنية بدعوة دينية أو شخصية اسلامية قوية أو مطالعة صالحة أحسن حالاً وأقوى إيماناً وأكثر

حماساً للإسلام من شباب الجامعات الدينية الذين لم يسعدهم
الحظ بذلك .

وقد تجلى هذا الإضطراب في الفكر والعمل والهدف
بوضوح في بيئة جامعية كانت ملتقى عناصر مختلفة وافدة من
أنحاء العالم ، وكان فيها مزيج من الثقافات واللغات والبيئات ،
ولم تجد الوقت الكافي والشخصيات القوية المؤثرة التي تربط
بين هذه العناصر المختلفة والمزيج من الشباب وتضفي عليها
صبغة واحدة ولم تستطع أن تصهرها في بوتقة عقيدة واحدة
وغاية واحدة ، وإزدادت القضية تعقداً ودقة حين إنضم إلى
هذه العوامل المضعفة عامل الإغراء المادي ، فكان الدافع لكثير
من الشباب المنحة الكريمة ذات القيمة التي ينالونها في هذه
الجامعة ، وزاد الطين بلة عدم وجود الحياة الاجتماعية حياة
دور الإقامة والأروقة التي يعيشها الشباب في الجامعات الدينية
القديمة وعدم وجود شخصية قوية مغناطيسية تشرف على هذه
الأجنحة من دور الإقامة والأروقة ؛ وتهيمن عليها بجاذبيتها
واخلاصها وتوجعها ومعرفتها الدقيقة بنفسية الشباب وعقدها ،
وتنمي الملكات وتربيها .

والعلاج عندي في هذه البيئة العنصرية المتناقضة يتلخص في
النقاط الآتية : —

١ — إثارة الإيمان والإحتساب في نفوس الشباب والإعتناء
الزائد بفضائل العلم والعلماء ووجوب الاخلاص والتحذير من

أغراض العلم الدنيوية ، أو طلب العلم لغير الله ولغير الدين ، وما ورد فيه من وعيد شديد ، ومعلوم ان الكثرة الكاثرة من شبابنا اليوم ليس مرضه تحديد غرض فاسد أو الإفساد ، والزيف والإلحاد ، إن مرضه هو عدم الجدية وعدم التفكير في غاية العلم ومقاصده والغفلة عنها ، فنجد العدد الأكبر من هؤلاء الطلبة لم يفكروا في يوم من الأيام لماذا يتعلمون ؟ ولم يحددوا لهم غاية ، فبدأوا عملهم من غير تفكير ومن غير تصميم ، ويجب الاستعانة في ذلك بالإشادة بالآيات والأحاديث التي وردت في فضائل العلم والعلماء والتنويه بها بمناسبات مختلفة ، وعن طريق المحاضرات والخطب ، والرسائل والحديث والمذاكرة ، وقد أقر علماء النفس والتربية أنه لا توجد قوة أكثر عمقاً وأشد سلطاناً على النفوس من الإيمان بالمنافع والإيمان بالفضائل وذلك الذي حدا بالصحابة ومن تبعهم إلى الشهادة في سبيل الله وبذل النفس والنفيس في خدمة الإسلام ، وهانت عليهم بذلك حياتهم ولذاتهم وأوطانهم وولدانهم ومطالب النفس والجسد .

٢ - ان مشكلات دور التعليم مشكلات طريفة متجددة لا يأتي عليها حصر ، ولا يضبطها قانون وهي ، كالثوب البالي إذا رفي من جانب تناثر من جانب آخر ، أو كقطيع من الغنم إذا ضُبط من جانب افلت من جانب آخر ، والمفتاح الرئيسي لهذه الأقفال التي ليس لها عدد ولا حصر ، هو وجود الأساتذة الذين أكرمهم الله بقوة الشخصية ورسوخ الإيمان

والعلم ، والعقل السليم والقلب الرقيق والعاطفة القوية ، فهي العصا السحرية التي لا تمس شيئاً إلا غيرته وحجر الفلاسفة الذي لا يمس التراب إلا ويحوّله تبراً ، وهي الثروة والطاقة الهائلة التي يمكن الإعتماد عليها في فض المشكلات وحل الأزمات .

٣ - وجود دعوة إيجابية قوية تشغل عقول الشباب وتستولي على مشاعرهم وتحرك ملكاتهم العملية وما طبعوا عليه من حب للحركة والعمل والكفاح ، ولا تدع مكاناً لدعوة أخرى يؤمنون بفضلها وشدة الحاجة إليها .

وهذه الدعوة موجودة معلومة وعلى أساسها قامت كل جامعة إسلامية وخاصة هذه الجامعة التي تقوم في مهبط الوحي ومهجر الرسول صلى الله عليه وسلم ومنطلق الدعوة الإسلامية في العالم وهي الدعوة إلى الله والدعوة إلى الدين الخالص والتوحيد النقي الصافي وإلى دار السلام والتحلي بفضائل الإسلام وإنقاذ البشرية من مستنقع الجاهلية - بأوسع معاني الكلمة - الذي تردت فيه والخروج بالإنسان من ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة ، ويمكن إثارة هذه الدعوة وتنميتها عن طريقة السيرة النبوية وحياة المصلحين والمجددين في الإسلام ، وتاريخ الدعوة الإسلامية في مختلف العصور ، ويحسن أن تنظم للتربية عليها جولات دعوية ومخيّمات خارجية ومحاضرات علمية .

٤ - إيجاد نظام إجتماعي رواقى ، يعيش فيه الشباب حياة إجتماعية إسلامية تحت إشراف أساتذة ومراقبين يكونون القدوة

الحسنة والمثل الكامل في الخلق والسيرة وذوق العلم وذوق العبادة يتميزون لا عن الطلبة وحدهم بل عن عامة العلماء والأساتذة بمحاسبة النفس والإحساس لله والتكشف في الحياة والبعد عن غوائل النفس ومكائد الشيطان ، يشعر الشباب بحرارة إيمانهم ورقة قلوبهم وشعورهم فيقتدون بهم بدافع من الحب والإجلال وحب للجمال والكمال لا بدافع قانوني ويتخذونهم مثلاً في الحياة .

٥ - تنظيم محاضرات عامة يدعى لها كبار العلماء وأقطاب الفكر الإسلامي تغرس في نفوس الشباب العقيدة القوية وتلهب الحمرة الإيمانية وتعيد الثقة بالإسلام ، وما اشتمل عليه من تشريع وتعليم ودعوة ومناهج للحياة ، وتتناول القضايا التي تشغل العالم وتشغل الشباب بصفة خاصة والتحديات التي سيواجهونها لمجرد تخرجهم في الجامعة الإسلامية ورجوعهم إلى بلادهم وتعرض لها حلولاً في ضوء الكتاب والسنة وتعاليم الإسلام والعلم الصحيح وتحل العقدة النفسية للشباب حلاً رقيقاً رقيقاً بحيث لا يشعرون أنهم يمرُّون بمرحلة « عملية جراحية » وأنهم يداوون كالمرضى أو يخرجون كالغرقى .

ومعلوم ان الجامعات مهما توسعت دائرتها وقوي نشاطها لا تستطيع ان تعطي الطالب الزاد الكافي من المعلومات عن التاريخ الماضي والعالم المعاصر والعلم الحديث لكثرة المواد الدراسية فلا بد ان يعتمد في إنارة عقول الشباب وتوسع نطاق

معلوماتهم على المحاضرات التي ينتقى لها خيرة العلماء وأصحاب الإختصاص .

هذه هي الأساليب والطرق التي أعتقد أنها تزيل الشيء الكثير مما تعانيه الجامعات الإسلامية والمعاهد العلمية من أمراض وقلق وإضطراب وعدم خضوع للنظام ، وعدم استفادة حقيقية مما هيأته لهم هذه الجامعات من أساتذة فضلاء ، ومكتبة غنية واسعة وأسباب الراحة والهدوء ، والعكوف على الدراسة ، وهي مما شرح الله لها صدور كثير من المربين وجربوها في مناطق عملهم وتجربتهم فنجحت .

ولا شك أن هذه البيئة الفائضة بالإيمان والحنان العامرة بالرسالة والدعوة ، الملهمة للصبر والتقوى وعلو الهمة وسمو النظر المليئة بالروحانية والسيكينة – والجامعة تعيش في رحاب المسجد النبوي وفي ظلال الآثار والذكريات الأولى – تساعد على تحقيق هذه الغاية في أكمل شكل ، والله المستعان ، وعليه الإعتماد والتكلان ، وصلى الله على خير خلقه محمد وآله وصحبه .

ابو الحسن علي الحسني الندوي
المدينة المنورة ، ١٩/٤/٩٤ هـ

الفهرس

الموضوع	الصفحة
١ - كلمة بين يدي الكتاب	٥
٢ - مبادئ وأسس التربية والتعليم في الأقطار الاسلامية	٧
٣ - صوغ نظام التربية والتعليم من جديد	٢٣
٤ - نظرة محمد إقبال إلى نظام التعليم العصري ومراكزه	٤٣
٥ - سياسة التربية والتعليم السليمة - في الأقطار ذات الشخصية والعقائد والمبادئ وذات الرسالة والدور القيادي	٤٩
٦ - خطوط عريضة لجامعة للدعوة والإرشاد	٨٧
٧ - حيرة الشباب المردية : أسبابها وطرق علاجها	١٠١
٨ - مشكلات الشباب في الجامعات الدينية وعلاجها السليم	١١٤

تطلب جميع منشوراتنا من :

الشركة المتحدة للتوزيع

مبروت - شارع سورية - بناية صمدي وصالحه
ص ب ٧٤٦٠ هاتف ٢٩٥٥٠١

الشمس : ٣٠٠ ق. ل.